جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
لجنة التعريف بالإسلام

السيدة نفيسة
رضي الله عنها

الأستاذ توفيق أبو علم

القاهرة
١٤١٢ هـ
١٩٩٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

« إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا »

سورة الأحزاب

« قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ »

سورة الشورى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله — اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين فكان منهم للناس الأسوة الحسنة فى النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا •

والصلاة والسلام على صفوة آلى ابراهيم سيدنا ومولانا محمد الذى أرسله الله رحمة للعالمين وبشرى للمؤمنين فهدى الناس من الضلال وأخرجهم من الظلمات الى النور باذن ربهم ورضى الله عن آله وأصحابه وأزواجه وذريته الطيبين الطاهرين وعمن والاهم باحسان ونظر فى سيرتهم بامعان للعبرة والاعتبار فكان من أولى الأبصار •

وبعد فأستميح القارىء عذرا اذا قلت له اننى هائم بحب أهل البيت واتجهت دراساتى بالكامل الى هذه السيرة العطرة بامعان وبعمق بل قد أقول أنى قد تخصصت فى هذه الدراسة — كل هذا بفضل الله سبحانه وتعالى •

يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم (قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور) •

واقتراف الحسنة التى يزيدها الله حسنا هو مودة سادتنا آل البيت وارضاء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم •

وما أبدع ما يقول سيدى محيى الدين بن عربى فى شعره الرقيق :

أرى حب أهـل البيت عنـدى فريضـة
على رغم أهـل البعـد يورثنى القـربا

فما أختـار خـير الخلق منـا جـزاءه
على هـديه الا المـودة فى القـربى

وما أصدق ما يقول امامنا على فى السادة أهل البيت : ـ

(أين الذين زعموا أنهم الراسخون فى العلم دوننا كذبا وبغيا علينا أن رفعنا الله ووضـعهم وأعطانا وحرمهم وأدخلنـا وأخرجهم وبنا يستعطى الهدى ويستجلى العمى) •

وما أصدقه كرم الله وجهه حين يقول مرة أخرى فى وصف آل البيت « هم عيش العلم وموت الجهل بخبركم حلمهم عن علمهم وظاهرهم عن باطنهم وصمتهم عن حـكم منطقهم ـ لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه ـ هم دعائم الاسلام وولائج الاعتصام ـ بهم عاد الحق الى نصابه وانزاح الباطل عن مقامه وانقطع لسانه عن منبته عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية لا عقل سماع ورواية فان رواة العلم كثير ورعاته قليل » •

والسيدة نفيسة موضـوع كتابى هذا من أهل البيت ـ فهى كريمة الدارين ابنة الامام الحسن الأنور بن زيد الأبلج ابن الامام الحسن ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين ـ وقد ولدت بمكة ونشأت بالمدينة وسيرى القارىء الكريم مدى حبها للعبادة من صغرها ـ وكانت لا تفارق حرم الرسول عليه السلام ـ وكانت تبكى بكاء شديدا وتتعلق بأستار الكعبة وتقول :

« الهى وسيدى ومولاى متعنى وفرحنى برضاك عنى فلا تسبب لى سببا به عنك تحجبنى » •

وسيرى القارىء أيضا ما قصته زينب ابنة أخيها يحيى المتوج طرفا من حياة عمتها فتقول (خدمت عمتى نفيسة أربعين سـنة فما رأيتها نامت الليل ولا أفطرت بنهار ـ فقلت لها أما ترفقين بنفسك ؟) •

فقالت كيف أرفق بنفسى وأمامى عقبات لا يقطعها الا الفائزون وتقول زينب ـــ كانت عمتى نفيسة تحفظ القرآن وتفسيره وكانت تقرأه وهى تبكى وتقول الهى وسيدى يسر لى زيارة قبر خليلك ابراهيم فاستجاب الرحمن لدعائها وزارت هى وزوجها اسحاق المؤتمن بن جعفر الصادق قبر الخليل ثم رحلا الى مصر فى رمضان سنة ١٩٣ هـ .

وانى اتمثل فى تاريخها ما حباها الله عز وجل من علم وخلق أشم وما اختصها الله به من نفحات وكرامات .

من معشر حبهم دين وبغضهم
كفر وقربهم منجى ومعتصم
فقدم بعد ذكر الله ذكرهم
فى كل بدء ومختوم به الكلم
ان عد أهل التقى كانوا أئمتهم
أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم
يستدفع الشر والبلوى بحبهم
ويسترب به الاحسان والنعم

فنفحاتها نافحة وبركاتها لائحة وأنوارها ساطعة وكراماتها رائعة فلنقطف من حديقتها ونستنير بنور رحبتها ونستمسك بمحبتها والاهتداء بهديها وأن نتوسل الى الله سبحانه وتعالى فيما ينوبنا فانها من آل بيت اصطفاهم ربهم وأنزلهم فى عليين واستجاب دعاءهم .

هم القوم من أصفاهم الود مخلصا
تمسك فى اخراه بالسبب الأقوى
هم القوم فاقوا العالمين مناقبا
محاسنهم تحكى وآياتهم تروى
موالاتهم فرض وحبهم هدى
وطاعتهم ود وودهم تقوى

فأمدنا الله من فيض امدادها وجعلنا الله فى زمرة أحبابها وقصادها فهى سيدة أهل اليقين ورافعة لواء الاجابة للزائرين والقاصدين بابها .

وجاء فى كتاب (الدرة النفيسية فى ترجمة السيدة نفيسة) أنه ينبغى لمن زار هذا المكان أن يقول عند دخوله من باب الضريح :

رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد — اللهم انك قد ندبتنى الى أمر قد فهمته واعتقدته وجعلته أجرا لنبيك محمد صلى الله عليه وسلم الذى هديتنا به اليك ودللتنا به عليـــك فكان كما قلت وكان بالمؤمنين رحيما حبيبا اليه ما هديتنا عزيزا عليه ما عنتنا وتلك الفريضة التى سألتها له وهى المودة فى القربى اللهم انى مؤديها مريد النفع بها فى دينى ودنياى فنتوسل اليه بها يوم انقطاع الأسباب اللهم زده شرفا وتعظيما وهب لنا بزيارتهم مغفرة وأجرا عظيما .

فالى كل محب لسادتى آل البيت الكريم أقدم هذا الكتيب — طامعا فى دعوة صالحة من كل قارىء وراجيا أن ينفع الله به .

والله عز شأنه أسأل أن ينفعنا بسادتى أهل البيت الذى قال فيهم سبحانه وتعـــالى (انما يريد الله ليذهب عنـــكم الرجس أهـــل البيت ويطهركم تطهيرا) .

وبشفاعة سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم

والحمـــد لله رب العـــالمين

وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب

توفيق أبو علم

رئيس مجلس ادارة مسجد

السيدة نفيسة

السيدة نفيسة رضى الله عنها

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« خُلِق الناس من أشجار شتى ، وخُلقت أنا وعلى بن أبى طالب من شجرة واحدة ، أنا أصلها ، وفاطمة فرعها ، وعلىٌّ لقاحها ، والحسن والحسين ثمارها ، وشيعتنا أوراقها ، فمن تعلق بغصنٍ من أغصانها ساقه إلى الجنة ، ومن تركها هوى إلى النار

نفيسة الدارين ..

نفيسة العلم ..

نفيسة الطاهرة ..

نفيسة العابدة ..

نفيسة المصريين ..

وسيدة أهل الفتوة والتصريف ، والسيدة الشريفة العلوية ، وصاحبة الكرامات الطاهرة الوفيرة والمناقب الفاخرة وأم العواجز ، والسيدة المرضية ومشبعة المحروم ، وهى السيدة النقية ، العفيفة ، الزاهدة ، الساجدة ، الراكعة ، المحدثة ، المتبحرة ، المتضلعة ، الكثيرة النفحات ، الغزيرة البركات ، والبضعة المنيفة الناضرة ، والزهرة الزاهرة سليلة النبوة وفرع الرسالة وجناح الرحمة كريمة العنصر والمنبت من آل بيت من اصطفاه الله ، رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم أولئك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

هذه ألقاب السيدة نفيسة رضى الله عنها ..

١ ـ فهى نفيسة الدارين : لعوارفها وصنائعها وشفاعتها يوم القيامة اقاصديها ، وبجناح الرحمة لتواضعها وخضوعها لبارئها ، وشفقتها ورحمتها وبرها وصلتها لذويها ومعتفيها وقاصديها ، ويستظل زائرها بنجاح رحمتها .

٢ ـ وهى نفيسة العلم لما استنبطته من دخائل العلم ، واستجلته من غوامضه وما نثرته على طالبى الاستفادة منها ، فكان يرجع اليها فى المشكلات ، ويستصبح بضوئها فى المعضلات ، وتشد اليها الرحال من أطراف البلاد فى طلب ما حذقته وأحكمته من علوم بيت النبوة ، ويكفى أن نذكر هنا أنها تعلمت القراءة والكتابة قبل أن تبلغ السابعة من عمرها، وهى بلا شك علامة كبيرة مميزة تنبىء ما ينتظرها فى مستقبلها ، وقد ساعدها ذلك على أن تحفظ القرآن الكريم وتجيده فى سن مبكرة .

٣ ـ وهى نفيسة الطاهرة لطهارتها وتعبدها ، وهى السيدة العظيمة العابدة النقية الطاهرة .

٤ ـ وهى نفيسة العابدة ، لعبادتها وتقواها ، فانها كانت من السائحات العابدات الصالحات القانتات ، تصوم نهارها وتقوم ليلها ، وقد حجت ثلاثين حجة أكثرها وهى ماشية ، وكانت تتعلق بأستار الكعبة وتقول : الهى وسيدى ، ومولاى ، متعنى وفرحنى برضاك عنى ، فلا تسبب لى سببا يحجبك عنى .

٥ ـ وهى نفيسة المصريين لحب أهل مصر لها ، ويكفى أن أقول فى أول هذا البحث ، كما سيأتى بعد ذلك تفصيلا ، أنها لما عزمت على الرحيل من مصر الى بلاد الحجاز شق ذلك على أهل مصر وسألوها فى الاقامة لحبهم لها ، كما أجمع أهل السير والتاريخ على وفاة السيدة نفيسة بالقاهرة كما أجمعوا على أنها لما توفيت وصل زوجها فى ذلك اليوم وأراد حملها الى المدينة لدفنها بالبقيع فاجتمع أهل مصر الى أمير البلد ، واستجاروا به الى زوجها ليردوه عما أراد ، وقد دفنت فعلا بالقاهرة كما سيأتى تفصيله ، ولذلك كان المصريون يسمونها بنفيسة المصرية .

مولدها ، ولماذا سميت باسم (نفيسة) ؟

ولدت السيدة الطاهرة بمكة المكرمة فى يوم الأربعاء الحادى عشر من شهر ربيع الأول سنة خمس وأربعين ومائة من الهجرة النبوية ، وقد فرحت أمها بمولودها ، واستبشر بها أبوها ، وعمت الفرحة أكناف بيتها، وقد زاد فى سرور أبيها وبهجته أن تكشف فى سيماها شبها عظيما بأخته عمتها السيدة نفيسة بنت زيد رضى الله عنها ، وهى التى تزوج بهـا الخليفة الوليد بن عبد الملك ، فاختار لها أبوها اسـم عمتها لنفاستها وما تبينه لبنته من وسام وقسام اختصت بهما أخته وتفاؤلا بأن يكتب الله لها حظ عمتها ، وما واتاها من سـعادة ونعماء ، وما لها من آثار وحظوة ، اذ كانت محببة ، ولها اليد البيضاء فى خلافة زوجها ، اذ أنها دفعته الى ما قام به فى عهده ، فقد فتحت فى عهده فتوح عظيمة ، وكان يتكفل بالأيتام ، ويرتب لهم معاشهم، ومن يرعاهم، ومن يقوم بخدمتهم، وللعميان من يقودهم ، وعمر المسجد النبوى ووسـعه ، ورزق الفقهاء والضعفاء والفقراء ، وأسبغ عليهم ، وحرم الاستجداء ، وفرض لذوى الحاجات ما يكفيهم ، وقد ضبط أمور الخلافة أتم ضبط .

عمة السيدة نفيسة فى مصر :

ومن المصادفات الغريبة أن عمة السيدة نفيسة رضى الله عنها رحلت الى مصر وتوفيت بها ، ومقامها بالقرب من السيدة نفيسة ، اذ أنها دفنت بالدار التى وهبت لها من والى مصر أخى زوجها عبد الله بن عبد الملك ابن مروان ، وكانت من الصالحات ، وقد توفيت قبل وفاة بنت أخيها .

والدهـا :

هو أبو محمد الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن السبط بن على ابن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين ، فهى من دوحة النبوة التى طابت فرعا ، وزكت أصلا ، ومن شعبة الرسـالة التى سمت رفعة ونبلا قد اكتنفها العز والشرف ولازمها السؤدد والكرامة :

يا حبذا روضـــة فى الخلد نابتة — مامثلها أبدا فى الخلد من شـــجر

المصطفى أصـــلها والفرع فاطمة — ثم اللقـــاح على ســـيد البشـــر

والهاشميان ســـبطاء لهـــا ثمـــر — والشـــيعة الورق الملتف بالثمـــر

هـــذا مقال رســـول الله جاء به — أهل الرواية فى العالى من الخير

انى بحبهـــم أرجو النجاة غـــدا — والفوز فى زمرة من أفضـــل الزمر

وكان والدها اماما عظيما ، وعالما جليلا من كبار أهل البيت معدودا من التابعين ، مجاب الدعوة فاضلا شريفا .

وفى سنة خمسين ومائة عزل الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور عامله، جعفر بن سليمان عن امرة المدينة ، وولاها الحسن بن زيد ، وقد بقى واليا على المدينة الى أن عزله المنصور لوشاية فيه سنة ست وخمسين ومائة ، فان الحسن كان قد اصطفى ابن أبى ذئب محمد بن عبد الرحمن ابن المغيرة ، وآواه وأكرمه ، لكنه لم يأمن فلتات لسانه ، فان ابن أبى ذئب ذهب الى المنصور وأخبره بأن الحسن يطمع للخلافة ، ويعمل على عودها للعلويين ، فثارت ثائرة المنصور ، وأمر بعزل الحسن وحبسه ، وقد تسرع ابن أبى ذئب فى وشايته ، اذ أنه غلب على ظنه طمع آل البيت فى الخلافة وما يعرفه أنها حق لهم وهم أولى بها من غيرهم ، مع أن الحسن كان معروفا بمظاهرته لبنى العباس ، ومناصرته لدولتهم ، وكان أول من لبس السواد شعار العباسيين من العلويين ، وقد لبث الحسن فى حبسه الى أن ولى المهدى الخلافة ، وكان يعرف منه علمه واعتداله ، وزهادته وعبادته ، فأمر باخراجه من حبسه ، وقربه منه واصطفاه .

وكان الحسن ذا حزم فى ولايته ، وعزم فى امرته ، وشـــدة فى أخذ الناس بالحدود وحرمات الله ، لا تأخذه رأفة فى دين الله ، ولا تقفه رحمة عن اقامة حدوده .

ولمـــا عاد الى المدينة لم يعاتب ابن أبى ذئب .

ولما توفى أبوه زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب وهو غلام وترك عليه دينا أربعة آلاف دينار ، فحلف السيد حسن أن لا يظل رأسه سقف الا سقف مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بيت رجل يكلمه فى حاجة حتى يقضى دين أبيه ، فوفى بنذره ؛ ووفى دين أبيه .

ومن كرمه أنه أتى بشاب شارب متأدب وهو عامل على المدينة فقال : (يا ابن رسول الله لا أعود) وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم » وأنا ابن أبى أمامة بن سهل بن حنيف، وقد كان أبى مع أبيك كما علمت ، فقال : صدقت ، هل أنت عائد ، قال : لا والله ، فأقاله وأمر له بخمسين دينار ، وقال له : تزوج بهـا وعد الى ، فتاب الشاب ، فكان الحسن يحسن اليه ، وكان الحسن والد السيدة نفيسة مجاب الدعوة ، يقال : مرت به امرأة وهـو فى الأبطح ومعها ولدها ! فاختطفه عقاب ، فسألت الحسن أن يدعو الله لها برده ، فرفع يديه الى السماء ودعا ربه ، فاذا بالعقاب قد ألقى الصغير من غير أن يضره بشىء ، فأخذته أمه .

ودخل عليه بعض الشعراء فأنشده :

❋ الله فرد وابن زيد فرد ❋

فقال بفيك الأثلب ، ألا قلت :

❋ الله فرد وابن زيد عبد ❋

ونزل عن سرير الامارة ، وألصق خده بالأرض ، يسـبح الله العلى الكبير ، وكان رضى الله عنه جليلا جميلا ، سريا ، سخيا .

وفيه يقول الشاعر :

اذا أمسى ابن زيد لى صـديقا فحسـبى من مـودته نصـيبى

وقال آخر :

الى حسن بن زيد بات نضوى — يجوب السهل وهنا والأكاما
الى رجل أبوه أبو المعالى — وأول مؤمن صلى وصاما
أأشتم أن أحبك يابن زيد — وأن أهدى التحية والسلاما
وقد سلفت على له أياد — تعيش الروح منها والعظاما
وكان هو المقدم من قريش — ورأس العز منها والسناما
وخيرهم لجار أو لصهر — بتسكين الكلالة والذماما
وكان أشدهم عقلا وحلما — وأبرحهم اذا ازدحم الزحاما

وكان الحسن كثير الثراء ، وله مال بالغابة ، وقصره الحمراء كان من أعظم قصور المدينة ، وقد أتاه مصعب بن ثابت الزبيرى وابنه عبد الله وهو يريد الركوب الى ماله بالغابة فأنشده مصعب :

يابن بنت النبى وابن على — أنت أنت المجير من ذا الزمان
من زمان ألح ليس بناج — منه من لم يجيره الخافقان
من ديون تنوءنا فادحات — من يد الشيخ من بنى ثوبان
فى صكاك مكتبات علينا — بمئين اذا عدد ثمان
بأبى أنت ان أخذن وأمى — ضاق عيش النسوان والصبيان

فأرسل الحسن الى ابن ثوبان فسأله فقال : على الشيخ سبعمائة وعلى ابنه مائة فقضى عنهما دينهما وأعطاهما مائتى دينار •

وقد خلف الحسن من الذكور تسعة ومن البنات اثنين السيدة أم كلثوم وقد تزوج بها أبو العباس السفاح الخليفة العباسى والسيدة نفيسة ولم يبلغ واحد من أولاده من الشهرة وذيوع الذكر ما بلغته ابنته السيدة نفيسة فهى درته اليتيمة وغرته الوضاءة •

وأولاده الذكور هم القاسم ومحمد وعلى وابراهيم وزيد وعبد الله ويحيى واسماعيل واسحاق أما أمهم فأم سلمة واسمها زينب ابنة الحسن عمه ابن الحسن ابن على بن أبى طالب •

وتزوج أم كلثوم عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم •

وقد توفى سنة ١٦٨ وهو فى طريقه الى الحج فى صحبة أمير المؤمنين المهدى ودفن فى الحجاز ، وقيل بالحاجر ، ويذكر الشعرانى أنه مدفون بتربته المشهورة قريبا من جامع القراء بين مجراة القلعة (العيون) وجامع عمرو بن العاص ويغلب عن الظن أنه دفن بالحاجر فى الطريق الى مكة •

وروى أن الامام زيد الأبلج والد السيد حسن الأنور كان يأخذ بيد ولده الحسن ويدخل الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم ويقول: « ياسيدى يارسول الله هذا ولدى الحسن أنا عنه راض » ثم يرجع وينصرف فلما كان فى بعض الليالى نام فرأى المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهو يقول له : « يا زيد انى راض عن ولدك الحسن برضاك عنه والحق سبحانه وتعالى راض عنه برضاى عليه » ، وجاء الحسن بالسيدة نفيسة الى المدينة وكان دائما يأخذ بيدها ويدخل بها الى القبر الشريف ويقول : « يا رسول الله انى راض عن بنتى نفيسة » ويرجع فما زال يفعل حتى رأى الرسول صلى الله عليه وسلم فى المنام وهو يقول : « يا حسن انى راض عن ابنتك نفيسة برضاك عنها والحق سبحانه وتعالى راض عنها برضاى عنها »[1] •

وزيد الأبلج هو ابن الحسن السبط بن سيدنا الامام •

---

(١) وجد ما يدل على دفن السيد زيد الأبلج بالقاهرة قريبا من جامع القراء بين مجراة القلعة وجامع عمرو فى التربة المشهورة قريبا من جامع القراء • فقد وجد حجر عتيق شرقى مقام ولده السيد حسن الأنور بقرب جامع عمرو بعد مجراة القلعة بقليل مرقوم عليه نسب زيد .

أما الامام محمد الأنور عم السيدة نفيسة فى المشهد القريب من عطفة جامع طولون مما يلى دار الخليفة فى الزاوية التى ينزل اليها بدرج وهو على يمين الطالب للسيدة سكينة ومكتوب على بابه فى لوح رخام هذا البيت :

مسجد حل فيه نجل لزيد   ذلك الأنور الأجل محمد

ويكفى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يقول لسيدنا على : « أدنو منى يا على خلقت أنا وأنت من شـجرة أنا أصلها وأنت فرعها والحسن والحسين أغصانها فمن تعلق بغصن منها أدخله الله الجنة » .

من هذا الغصن غصن القرن الأول للهجرة جاءت نفيسة احدى أغصان رياحين القرن الثانى .

أمهـــا :

أما أمها فأم ولد ، وأما اخوتها فأمهم أم سلمة زينب بنت الحسن بن الحسن بن على رضى الله عنهم ، وليس ذلك بضائرها ولا ما ينقص من قدرها فقديما تسرى الخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام هاجر فولدت له اسماعيل عليه السلام فكان من نسله صفوة خلق الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وقد تسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم مارية القبطية فولدت ابراهيم عليه السلام ، وقد كان أبوها الحسن من أم ولد ، وكذا زيد بن على رضى الله عنهما من أم ولد ، وقد دخل على هشام بن عبد الملك ، فقال له : بلغنى أنك تحدث نفسك بالخلافة ولا تصلح لها لأنك ابن أمة ، فقال له : أما قولك انى أحدث نفسى بالخلافة ، فلا يعلم الغيب الا الله تعالى : وأما قولك انى ابن أمة فاسماعيل ابن أمة أخرج الله من صلبه خير البشر محمد صلى الله عليه وسلم واسحاق ابن حرة أخرج من صلبه القردة والخنازير ، فقال له : قم فقال : اذا لا ترانى الا حيث تكره فلما خرج من الدار قال ما أحب أحد الحياة الا ذل : فقال سالم مولى هشام ، بالله لا يسمعن هذا الكلام منك أحد وقد كان زيد رضى الله عنه من أحسن بنى هاشم عبادة وأجلهم سيادة وكانت ملوك بنى أمية تكتب الى صاحب العراق أن امنع أهل الكوفة من حضور مجلس زيد بن على فان له لسانا أقطع من ظبة السيف وأحد من شبا الأسنة وأبلغ من السحر والكهانة ومن النفث فى العقد .

وقال الشعبى : والله ما ولدت النساء أفضل من زيد بن على ولا أفقه ولا أشجع ولا أزهد .

وقال أبو حنيفة : شاهدت زيد بن على كما شاهدت أهله فما رأيت فى زمانه أفقه منه ولا أعلم ولا أسرع جوابا ولا أبين قولا ، لقد كان

منقطع النظير وكان يدعى بحليف القرآن قرأ مرة قوله تعالى : « وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » ، فقال ان هذا لوعيد وتهديد من الله تعالى ، ثم قال : اللهم لا تجعلنا ممن تولى عنك فاستبدلت به بديلا ..

وقبل ذلك أعتق جده الحسين بن على رضى الله عنهما جارية له وتزوج بها وقد كان لمعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما بالمدينة يكتب اليه بما يكون من أمور الناس وقريش خاصة فكتب اليه أن الحسين بن على أعتق جارية له فتزوجها ، فكتب معاوية الى الحسين : « من أمير المؤمنين معاوية الى الحسين بن على ، أما بعد فانه بلغنى أنك تزوجت بجاريتك وتركت أكفاءك من قريش ممن تستحسنه للولد وتمجد به فى الصهر ، فلا لنفسك نظرت ولا لولدك انتقيت » .

فكتب اليه الحسين رضى الله عنه :

« أما بعد فلقد بلغنى كتابك وتعييرك اياى بأنى تزوجت مولاتى وتركت أكفائى من قريش ، فليس فوق رسول الله صلى الله عليه وسلم منتهى فى شرف ولاغاية فى نسب وانما كانت ملك يمينى خرجت عن يدى بأمر التمست فيه ثواب الله تعالى : ثم ارتجعتها على سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وقد رفع الله بالاسلام الخسيسة ، ووضع عنا به النقيصة فلا لوم على امرىء مسلم الا فى أمر مأثم وانما اللوم لوم الجاهلية » .

فلما قرأ معاوية كتابه نبذه الى يزيد فقرأه ، وقال لشد ما فخر عليك الحسين قال : لا ولكنها ألسنة بنى هاشم الحداد التى تفلق الصخر وتغرف من البحر ، وقد بينت ذلك كله فى الفصول السابقة الخاصة بأهل البيت .

وقال الأصمعى : كان أكثر أهل المدينة يكرهون الاماء حتى نشأ فيهم على بن الحسين والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله رضى الله عنهم ، ففاقوا أهل المدينة فقها وعلما وورعا فرغب الناس فى السرارى وأقبلوا على الزواج منهن وقد تزوج على زين العابدين رضى الله عنه جارية له بعد أن أعتقها فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان فكتب اليه يؤنبه على فعلته فكتب اليه على :

ان الله رفع بالاسلام الخسيسة وأتم به النقيصة وأكرم به من اللؤم

جد السيدة نفيسة
زعيم أهل البيت

كان الامام الحسن جد السيدة نفيسة عميد أهل البيت بعد أبيه وقد اختلف العلماء فى تعريف أهل البيت اختلافا كبيرا •

ويرجع الاختلاف الى تفسير الآية الكريمة (يا نساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا) •

والفريق الأول : من المفسرين يتمسكون بالسياق ويرون أن أهل البيت المذكورين فى الآية هن زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويقولون ان المراد بالبيت بيت النبى صلى الله عليه وسلم ومساكن زوجاته لقوله (واذكرن ما يتلى فى بيوتكن) وأيضا السياق فى الزوجات من قوله (يا أيها النبى قل لأزواجك) الى قوله (واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا) •

وعن طريق عكرمة عن ابن عباس فى قوله تعالى : (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) •

يقولون انها نزلت فى نساء النبى صلى الله عليه وسلم — ويذهب عكرمة الى أن البيت أريد به مساكن النبى صلى الله عليه وسلم — ويقول — من، شاء باهلته أنها نزلت فى أزواج النبى صلى الله عليه وسلم — ويروى عن عكرمة أنه كان ينادى فى السوق أن الآية نزلت فى نساء النبى صلى الله عليه وسلم •

ويقول الزجاج : ان أهل البيت فى الآية المذكورة يراد بهم نساء النبى صلى الله عليه وسلم — وقيل يراد بهم نساؤه وأهله الذين هم أهل بيته.

ويقول بعض المفسرين : ان ورود الآية فى شأن أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يغلب على الظن دخولهن فيهن والتذكير للتغليب فان الرجال وهم النبى وعلى وأبناؤهم غلبوا على فاطمة وحدها أو مع أمهات المؤمنين ثم أكد التكاليف المذكورة بأن بيوتهن مهابط الوحى ومنازل الحكم والشرائع الصادرة من مشرع النبوة ومعدن الرسالة ثم ختم الآية بقوله تعالى : (ان الله كان لطيفا خبيرا) ايذانا بأن تلك الأوامر والنواهى هى لطف منه فى شأنهن وهو أعلم .

وأما ما يتمسك به الفريق الأعم والأكبر من المفسرين فيتجلى فيماروى عن أبى سعيد الخدرى قال — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نزلت هذه الآية فى خمسة فى وفى على وحسن والحسين وفاطمة » رضى الله عنهم جميعا وأخرج الترمذى وصححه ابن جرير وابن المنذر والحاكم وابن مردويه والبيهقى فى سننه من طرق — عن أم سلمة : قالت فى بيتى نزلت (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) وفى البيت فاطمة وعلى والحسن والحسين — فجللهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بكساء كان عليه ثم قال : « هؤلاء بيتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » .

وعن أم سلمة أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم كان فى بيتها على منامة له عليه كساء خيبرى فجاءت فاطمة ببرمة فيها خزيرة — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ادعى زوجك وابنيك حسنا وحسينا » فدعتهم ، فبينما هم يأكلون ، اذ نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم الآية الكريمة فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم بفضله .. كساءة فغشاهم اياها — ثم أخرج يده من الكساء وألوى بها الى السماء ثم قال (اللهم هؤلاء أهل بيتى وخاصتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) ، قالها ثلاث مرات .

قالت أم سلمة : فأدخلت رأسى فى الستر ، فقلت : يا رسول الله وأنا معكم — فقال : (انك الى خير) .

وفى رواية أخرى ومن طرق عديدة وصحيحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ومعه على وفاطمة وحسن وحسين وقد أخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فأدنى عليا وفاطمة وحسنا وحسينا وأجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما بأعلى فخذه ثم لف عليهما كساء ثم تلا هـذه الآية (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا). وقال : (اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) .

وفى رواية : اللهم هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على ابراهيم انك حميد مجيد .

وفى رواية أخرى لأم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ ثوبا وجلله فاطمة وعليا والحسن والحسين وهو معهم وقرأ الآية (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) قال فجئت أدخل معهم فقال « مكانك — انك على خير » .

وعنها أيضا — قالت : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته يوما اذ قالت الخادم ان عليا وفاطمة بالسدة ، قالت : فقال لى : « قومى فتنحى عن أهل بيتى » . قالت فقمت فتنحيت فى البيت قريبا فدخل على وفاطمة ومعهم الحسن والحسين وهما صبيان صغيران فأخذ الصبيين فوضعهما فى حجره وقبلهما واعتنق عليا باحدى يديه وفاطمة بالأخرى وقبل فاطمة وقبل عليا فأغدق عليهم خميصة ثم قال : « اللهم اليك لا الى النار أنا وأهل بيتى » قلت : وأنا يا رسول الله قال : وأنت .

والظاهر أن هذا الفعل تكرر عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى بيت أم سلمة يدل عليه اختلاف هيئة اجتماعهم وما جللهم به ودعائه لهم وجواب أم سلمة به — والمنع وقع من دخولها معهم فيما جللهم به وعليه يحمل قولها فى الحديثين (وأنا معهم) أى أدخل معهم لا أنها ليست من أهل البيت بل هى منهم — وكذلك لما قالت فى الحديث الآخر « وأنا » ولم تقل معهم أى أنا أيضا الى الله لا الى النار ، قال : وأنت الى الله لا الى النار ، وكذلك لما قالت وأنا من أهل البيت قال وأنت من أهل البيت وابنتك أيضا .

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه دخل على زينب بنت أبى سلمة مخبل حسنا من شق وحسينا من شق وفاطمة فى حجره فقال : « رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد » وأنا وأم سلمة جالسان فبكت أم سلمة فنظر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيك فقالت : يا رسول الله خصصتهم وتركتنى وابنتى ، فقال : انك وابنتك من أهل البيت .

وعن أبى عمار قال انى لجالس عند واثلة بن الأسقع اذ ذكروا عليا رضى الله عنه فشتموه ، فلما قاموا قال : اجلس حتى أخبرك عن هذا الذى شتموا انى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاء على وفاطمة وحسن وحسين فألقى عليهم كساء له ثم قال : « اللهم هؤلاء أهل بيتى ، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » .

وفى رواية أخرى : حدثنا الامام محمد بن مصعب حدثنا الأوزاعى حدثنا شداد بن عمار قال دخلت على واثلة بن الأسقع رضى الله عنه ، وعنده قوم فذكروا عليا رضى الله عنه فشتموه فشتمته معهم ، فلما قاموا قال لى : شتمت هذا الرجل ؟ قلت : قد شتموه فشتمته معهم ، قال : ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : بلى ، قال : أتيت فاطمة رضى الله عنها فأجلها بين يديه وأجلس حسنا وحسينا رضى الله عنهما كل واحد منهما على فخذه ، ثم لف عليهم ثوبه ــ أو قال كساءه ــ ثم تلا صلى الله عليه وسلم هذه الآية : (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) ، وقال : « اللهم هؤلاء أهل بيتى ، وأهل بيتى أحق » .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى شريح بن يونس أبو الحارث حدثنا محمد بن يزيد قال : دخلت مع أبى على عائشة رضى الله عنها فسألتها عن على رضى الله عنه فقالت رضى الله عنها : تسألنى عن رجل كان من أحب الناس الى رسول الله صلى الله عايه وسلم ، وكانت تحبه ابنته وأحب الناس اليه ؟ لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليا وفاطمة وحسنا وحسينا رضى الله عنهم فألقى عليهم ثوبا ، فقال : « اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » .

وقال الامام الحسن رضى الله عنه فى بعض خطبه : « وأنا من أهل البيت الذى كان جبريل ينزل الينا ويصعد من عندنا ، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » وقال أيضا : « انا أهل بيت أكرمنا الله بالاسلام واختارنا واصطفانا وأذهب عنا الرجس وطهرنا تطهيرا ، لم تفترق الناس فرقتين الا جعلنا الله فى خيرهما من آدم الى جدى محمد صلى الله عليه وسم فلما بعثه الله للنبوة واختاره للرسالة وأنزل عليه كتابه ثم أمره بالدعاء الى الله عز وجل فكان أبى أول من استجاب لله ولرسوله وأول من آمن وصدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال الله فى كتابه المنزل على نبيه المرسل (أفمنكان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه) • يقول : فجدى الذى على بينة من ربه وأبى الذى يتلوه وهو شاهد منه •

والفريق الثالث من المفسرين جعل الآية شاملة للزوجات ولعلى وفاطمة والحسن والحسين ، أما الزوجات فلكونهن المراد فى سياق هذه الآيات ولكونهن الساكنات فى بيوته صلى الله عليه وسلم النازلات فى منازله ، ويؤيد ذلك ما تقدم عن ابن عباس وغيره وأما دخول على وفاطمة والحسن والحسين فلكونهم قرابته وأهل بيته فى النسب ، ويؤيد ذلك ما ذكرناه من الأحاديث المصرحة بأنهم سبب النزول وهى أحاديث كثيرة فمن جعل الآية خاصة بأحد الفريقين فقد أعمل ما يجب اعماله وأهمل ما لا يجوز اهماله وقد رجح هذا القول جماعة من المحققين منهم القرطبى وابن كثير والطبرى وغيرهم •

ويقول بعض المفسرين من هذا الفريق : (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) فاستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر وانما أكد ازالة الرجس بالتطهير لأن الرجس قد يزول ولم يطهر المحل بعد ، ، وأهل البيت نصب على النداء أو على المدح وسنرى فى شرح آية المباهلة أنهم أهل العباء ، النبى صلى الله عليه وسلم ، لأنه أصل وفاطمة رضى الله عنها والحسن والحسين رضى الله عنهما بالاتفاق والصحيح أن عليا رضى الله عنه منهم لمعاشرته بنت النبى صلى الله عليه وسلم ، وملازمته اياه وورود الآية فى شأن زواج النبى صلى الله عليه وسلم يغلب الظن دخولهن فيه والتذكير للتغليب فان الرجال وهم النبى وعلى وأبناؤهم غلبوا على وفاطمة وحدهما أو مع أمهات المؤمنين ثم أكد التكاليف المذكورة أن بيوتهن مهابط الوحى

ومنازل الحكم والشرائع الصادرة من مشرع النبوة ومعدن الرسالة ثم ختم الآية بقوله (ان الله كان لطيفا خبيرا) ايذانا بأن تلك الأوامر والنواهى لطف منه فى شأنهن وهو أعلم — وكذلك فان فى قوله سبحانه وتعالى : (أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) ان الظاهر من الآية الكريمة أنها عامة فى جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم .

والفريق الرابع من المفسرين يقول : هم بنو هاشم ، فعن زيد بن أرقم قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال : « أذكركم الله فى أهل بيتى ثلاثا » ، فقيل لزيد : من أهل البيت ؟

قال : أهل البيت من حرم الصدقة بعده .

وقيل : من هم ؟ قال : آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس ، فهؤلاء ذهبوا الى أن المراد بالبيت بيت النسب بقول الله سبحانه وتعالى : (واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة) أى اذكرن موضع النعمة اذ صيركن الله فى بيوت يتلى فيها آيات الله والحكمة ، أو اذكرنها وتفكرن فيها لتتعظن بمواعظ الله ، أو اذكرنها للناس ليتعظوا بها ويهتدوا بهداها .

وفى الصواعق : أن المراد بالبيت فى الآية يشمل بيت نسب النبى صلى الله عليه وسلم وبيت سكناه فتشمل الآية أزواجه عليه السلام وهو ما ذكرناه فى مقدمة هذا البحث عن ابن عباس وما ذكره أيضا البيضاوى ويدل عليه ما قبل الآية وما بعدها .

وقال مسلم فى صحيحه : حدثنى زهير بن حرب وشجاع بن مخلد جميعا عن ابن علية قال زهير حدثنا اسماعيل بن ابراهيم حدثنى أبو حيان حدثنى يزيد بن حيان قال انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن سلمة الى زيد بن أرقم رضى الله عنه ، فلما جلسنا اليه قال له حصين : لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه ، لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا ، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال يا ابن أخى والله لقد كبرت سنى وقدم عهدى ونسيت بعض الذى كنت أعى من رسول الله

صلى الله عليه وسلم فما حدثتكم فاقبلوا ومالا فلا تكلفوا فيه : ثم قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما خطيبا بمـاء يدعى « خما » بين مكة والمدينة فحمد الله تعالى وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال : « أما بعد ألا أيها الناس فانما أنا بشر يوشك أن يأتينى رسول ربى فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به » فحث على كتاب الله عز وجل ورغب فيه ثم قال : « وأهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى — أذكركم الله فى أهل بيتى » ثلاثا ، فقال له حصين : ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟، قال : نساؤه ليسوا من أهل بيته ، ولكن من أهل بيته من حرم الصدقة بعده ، قال : ومن هم قال : هم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس رضى الله عنهم ، قال : كل هؤلاء حرم الصدقة بعده ؟ قال : نعم .

وعن زيد بن أرقم أيضا أنه ذكر الحديث بنحو ما تقدم ، فقيل له : من أهل بيته ، نساؤه ؟ قال : لا ، وأيم الله ان المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها ، فترجع الى أبيها وقومها ... أهل بيته أصـله وعصبيته الذين حرموا الصدقة بعده .

ويؤيد السيد باقر شريف القرشى هذا الحديث : فيقول فى كتابه عن حياة الامام الحسن — رضى الله عنه : « ان الأخبار الصحيحة التى لامجال للشك فيها فى سندها وفى دلالتها على اختصاص الآية الكريمة فى الخمسة من أهل الكساء عليهم السلام وعدم تناولها لغيره من أسرة النبى صلى الله عليه وسلم ومعنى ذلك أن ليس لنساء النبى صلى الله عليه وسلم نصيب فى هذه الآية فقد اختص بها أهل الكساء ودلل على ذلك بما يأتى:

١ — خروجهن موضوعا عن الأهل فانه موضوع لعشيرة الرجل وذوى قرباه ولا يشمل الزوجة ، ويؤكد هذا المعنى ما صرح به زيد بن أرقم حينما سئل من أهل بيته — أى النبى صلى الله عليه وسلم — نساؤه ؟ فقال : لا — وأيم الله — ان المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع الى أبيها وقومها ، أهل بيته أصله وعصبيته الذين حرموا الصـدقة بعده .

٢ — أننا لو سلمنا أن الأهل يطلق على الزوج فلا بد من تخصيصه— ويفند السيد باقر القرشى ما قاله عكرمة يقول : ان عكرمة قال ان الآية

نزلت فى نساء النبى صلى الله عليه وسلم وكان ينادى بذلك فى السوق • وبلغ من اصراره أن كان يقول : « من شاء باهلته أنها نزلت فى أزواج النبى » ومن رأى السيد باقر القرشى أن عكرمة لا يعول على روايته لأنه عرف بعدم الدقة فعن ابن المسيب أنه قال لمولى اسمه برد لا تكذب على كما كذب عكرمة على ابن عباس — وعن عثمان بن مرة قال للقاسم : ان عكرمة حدثنا عن ابن عباس كذا فقال القاسم يابن أخى : ان عكرمة كذاب يحدث غده حديثا يخالفه عشيا ومع اتهامه بالكذب كيف يمكن التعويل على حديثه ؟ ويستمر الأستاذ باقر شريف فى تحليل شخصية عكرمة ، وينتهى بنتيجة أنه لايمكن التعويل على روايته مضافا الى أنها من أخبار الآحاد ولا تصلح لمعارضة الأخبار الصحيحة المتواترة •

ويقول السيد محمد صادق الصدر[1] : ان الخطاب لنساء النبى صلى الله عليه وسلم وكله بنون النسوة فى الأيات السابقة على آية التطهير الا هذه الآية (انما يريد الله) ولو أراد الله تعالى أن يفصح عن عصمتهن لقال انما يريد الله ليذهب عنكن الرجس ويطهركن تطهيرا) والآيات كلها خاصة بالنساء وليس للرجال ذكر ليقال ان الله بالتذكير على نحو التغليب فيشمل النساء والذكور • ان الله سبحانه وتعالى استأنف التأنيث بعد آية التطهير فقال تعالى : (واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا) أليس التأنيث المتكرر فى كل الآيات السابقة لآية التطهير واللاحقة لها كان مقصودا ، ولنذكر الأسباب المؤدية الى نزول آيات النساء التى خصت زوجات النبى صلى الله عليه وسلم فاننا ان أمعنا النظر بمنطوق الآيات وبسبب النزول نعرف أن آية التطهير لا يمكن انطباقها على الزوجات بصورة لا تقبل الشك •

ولو أراد المنصف أن يقتصر على ذلك لكفاه ، فكيف وقد وردت أحاديث كثيرة متواترة (بينا ذلك سابقا) مجمع على صحتها تدعم هذه النظرية وتساعد على فهم ذلك وتبرهن — بما لا مزيد عليه — على أن لآية التطهير أسبابا لا تتصل بالأسباب الأولى دعت الى نزولها ، وقد شهد بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجتاه أم سلمة والسيدة عائشة ، وربيبه عمر بن أبى سلمة ، وروى ذلك كثير من الصحابة والثقاة ، ولم يتفق أن عنى المسلمون بمثل ما عنوا فى شأن هذه الآية الكريمة •

---

(١) الاجماع فى التشريع الاسلامى •

أما سبب نزول آيات النساء فقد قال الخازن ، فى تفسيره ما نصه « سبب نزول هذه الآية أن نساء النبى صلى الله عليه وسلم طالبنه من عرض الدنيا شيئا وطلبن منه زيادة فى النفقة وآذينه بغيرة بعضهن على بعض فهجرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآلى أن لا يقربهن شهرا، ولم يخرج الى الصحابة ، فقالوا : ما شأنه ؟ وكانوا يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ، فقال عمر : لأعلمن لكم شأنه . قال : فدخلت على رسول الله فقلت : يا رسول الله أطلقتهن ؟ قال لا ، قلت يا رسول الله انى دخلت المسجد والمسلمون يقولون طلق رسول الله نساءه أفأنزل فأخبرهم أنك لم تطلقهن ؟ قال : نعم ان شئت ، فقمت على باب المسجد وناديت بأعلى صوتى لم يطلق رسول الله نساءه » •

« روى الواحدى بالاسناد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال :كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا مع حفصة فتشاجرا بينهما فقال لها هل لك أن أجعل بينى وبينك رجلا ؟ قالت نعم ، فأرسل الى عمر فلما أن دخل عليها قال لها تكلمى ، فقالت يا رسول الله تكلم ولا تقل الا حقا فرفع عمر يده فوجأ وجهها ثم رفع يده فوجأ وجهها ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم كف ، فقال عمر ياعدوة الله ، النبى لا يقول الا حقا ، والذى بعثه بالحق لولا مجلسه ما رفعت يدى حتى تموتى ، فقام النبى صلى الله عليه وسلم ، فصعد الى غرفته ، فمكث فيها شهرا لا يقرب شيئا من نسائه يتغدى ويتعشى فيها ، فأنزل الله تعالى هذه الآيات »•

ونستطيع أن نجزم أن السبب الرئيسى من هذه الأسباب التى استدعت غضبه وهجره لنسائه هو الطعن الموجه الى عدالته من زوجة تعرف نبوته ، وتفهم أنه المثل الأعلى للحق والعدالة •

لبث النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ينتظر الوحى ، فورد الأمر بأن يخير نساءه بالبقاء أو الفراق : (يا أيها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا • وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما • يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا • ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين واعتدنا لها

رزقا كريما • يا نساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا • وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله •••) الآيات •

فخير الرسول الكريم نساءه بعد نزول آية التخيير بين البقاء والطلاق فاخترن كلهن البقاء وآثرن الله ورسوله والدار الآخرة ، وختمت هذه المشكلة برضا الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعودة الحياة الهانئة الى بيت الزوجية فى سعادة ووئام •

هذا البيت الذى كان جوه مكفهرا محزنا ، والذى صورته الآيات السابقة وردت ضمنها آية التطهير : (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) • ويستمر الأستاذ محمد صادق الصدر فى شرح وجهة نظره ويقول :

فماذا قصد الاله الكريم بهذه الآية ؟

هل نفهم منها ما فهم عكرمة لا : ان عقلنا يأبى ذلك • وان لساننا العربى لا يفقه لغتهما ، ولا أخال ان المبتدىء فى اللغة يقر هذا الفهم اذا كان عقله سليما لم تؤثر فيه الأغراض والأمراض •

كيف تنطبق الآية على النساء وقد شهد الله لأهل البيت بالعصمة من الذنوب فى حين أنا نعلم أنَ سبب الهجر لهن قد أدانهن بالذنب ، كما أن هجرهن له صلى الله عليه وآله وسلم أثبت عليهن النشوز الشرعى وهو محرم صدوره مع الرجل أيا كان ، فكيف اذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد فرضت طاعته عليهن كزوج وكرسول الله صلى الله عليه وسلم ، يضاف الى ذلك التشكيك من بعضهن بعدالته ، وهو النبى العادل الذى لا يمكن الشك فى قوله أو عمله مما هو غنى عن البيان •

اذن فكيف يشهد الله تعالى لهن بالعصمة ؟ اذا كن المقصودات فى (أهل البيت) ، وهن فى حال التلبس فى الذنب ؟ هذا لا يصدر من الناس ، فكيف ننسبه الى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا !

واذا كن غير مقصودات كما اتضح ذلك ، فمن هم اذن أهل البيت ، ولماذا ذكر هنا هذا البيت ؟

للرسول الكريم صلى الله عليه وآله بيتان : بيت الزوجية ، و « بيت النبــوة » .

أما بيت الزوجية ، فلم يكن بيتا واحدا . وانما كان بيوتا متعددة تسكنها زوجاته صلى الله عليه وسلم ، كما يشعر بتعددها صيغة الجمع فى قوله تعالى : (وقرن فى بيوتكن) ، وفى قوله : (واذكرن ما يتلى فى بيوتكن) .

وأما « بيت النبوة » فقد كان منحصرا فى بيت واحد تسكنه ابنته الزهراء وابن عمه على ، وريحانتاه الحسنان عليهم السلام .

وحيث قد انتفت العصمة عن تلك البيوت الممثلة بالأزواج بالنظر لارتكابهن المعصية ، وخروجهن عن الطاعة اتجهت العصمة الى البيت الواحد ، وأعلنها الوحى بقوله تعالى : (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) ، فأورد البيت بالمفرد ، وجاء بال للعهد ، ونصب أهلا ليخص بالمدح أهل البيت بمفردهم فى ظرف لا يمكن توجيه المدح الى غيرهم .

ولو أراد بيوت السكن التى تقدم ذكرها لكرر جمعهــا ، وألحق بها نون النسوة لتكون المقصودة بالذات .

فذكر البيت مفردا ومتوسطا بين آيتين فى كل منهما جاء البيت بالجمع لأكبر دليل على أن هذا المفرد ليس من تلك البيوت ، وأن أهله ليس مثل أهلها فقد كان كل فرد من هذا البيت الطاهر أقرب للناس وأطوعهم الى امتثال أمره ونهيه وصلوات الله عليه وعلى أهل بيته الطاهرين .

أن بيت الزوجية يكونه السبب بايقاع العقد الشرعى فيجعله سكنا ومسكنا وتتقوض دعائمه فى كلمة واحدة تؤذن بالطلاق فاذا البيت يتهدم . واذا بالزوجة تصبح امرأة أجنبية تخرج من أهله الى أهلها والبيت

الثانى « بيت النبوة » بكونه النسب • وكانت آية التطهير حجر الأساس لبناء كيان هذا البيت لأن العصمة ملكة فى النفس تمنع صاحبها من أن تشوبه شائبة فهو أبدا طاهر مطهر من طهر طاهر • وقد أراد الله تعالى بعد أن عرف الناس بالبيت الأول — أن يعرفهم منزلة البيت الثانى ليتضح الفرق بين البيتين فيفهم كل بيت على واقعه • وحتى لا يحصل الالتباس ، أو يطبق فى حقهما القياس فيكون كقياس اذ على اذا والمبتدأ على الخبر •

وهم كما قال عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن أهل البيت لا يقاس علينا أحـــد » • أن البيت الأول تشيده كلمة وتهدمه كلمة . وأن البيت الثانى خالد ما خلد الدهر لأنهم سلام الله عليهم أمان لأهل الأرض قال جدهم صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الامام أحمد فى المناقب « النجوم أمان لأهل السماء فاذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء ، وأهل بيتى أمان لأهل الأرض ، فاذا ذهب أهل بيتى ذهب أهل الأرض » •

وهذا الحديث يشعرنا بوضوح ببقاء أهل البيت ذخرا للناس يهتدون بهديهم ويستضيئون بأنوارهم ، كما يرشد الى ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم ، فيما رواه عمر بن الخطاب « قال : ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى خلوف من أمتى عدول من « أهل بيتى » ينعون عن هذا الدين تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين الا وان أئمتكم وفدكم الى الله عز وجل فانظروا بمن توفدون » •

واذا كان ابن نوح كتب عليه الغرق لأنه عمل غير صالح فلم يكتب له النجاة فى سفينة نوح أبيه ، فان أهل البيت هم سفن النجاة يسعفون كل من ركب سفينتهم وتمسك بحبل ولائهم •

ان أتباعهم يمخرون العباب متمسكين بأعدال الكتاب ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « مثل أهل بيتى كسفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تعلق بها فاز ، ومن تخلف عنها زج فى النار » هذا هو البيت الثانى الذى أراد الله عز وجل أن يعرف الأمة به فى قوله تعالى : (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) فجاءت الآية

الكريمة مشتملة على ما يوجب تركيز الثقـــة ، وتوطيد دعائم العصمة فى كل فرد من أفراد هــذا البيت الطاهر وينادى بفضل آل الرسول أعدال الكتاب ، وقادة الأمة الى الحق والصواب هذا هو البيت الذى أسس الله قواعده ، وشيد أركانه ، وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحمد لله الذى جعل فينا الحكمة أهل البيت » ، كما أخرجه الامام أحمد فى المناقب .

ومن حديث أم سلمة ، والذى سبق وأشرنا اليه ، يرى السيد محمد الصدر أن هناك عدة أمور حرص عليها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم تطبيقا لآية التطهير :

١ ــ حصرهم تحت كساء واحد حتى لا يمكن اشتراك أحد من أهل الدار فى جلستهم الخاصة ، وكأن الحصر المعنوى بأنما أراد الرسول الأعظم تطبيقه بالفعل على الأشخاص الذين عناهم الله بالحصر .

٢ ــ لم يكتف الرسول صلى الله عليه وسلم بحصرهم فى نطاق واحد حتى أشار اليهم بقوله : « اللهم هؤلاء أهل بيتى وخاصتى ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » ، فأخبره عنهم ــ وهو يعلم أنه تعالى مطلع على ذلك ــ أخبره ليعلن رأيه ، فتسمع أم سلمة ، ومن شاهد نزول هذه الآية ليفهم انها خاصة بهم دون سواهم . وكرر تلاوة الآية ثلاث مرات كى يؤكدها ، ويتأكد من سماع أهل الدار لها .

٣ ــ قوله لأم سلمة انك الى خير مرتين ، اشعار لها بأنها ليست من أهله الذين عناهم الله ، ولذلك لم يأذن لها بالدخول معهم . وفى الوقت نفسه أكد لها أنها على خير .

وفى الرواية الأخرى التى ذكرها الخازن قول الرسول لها : « انك الى خير أنت من أزواج النبى ، لتعلم أن سبب عدم الاذعان لها بالدخول كونها من أزواجه ، وهن لسن من أهله ، والا فهى على خير مشعرا برضاه عنها وأنها من أهل الجنة .

فتصريح أم سلمة ، وتصريح السيدة عائشة ، وعمر بن أبى سلمة ، وزينب بنت أبى سلمة ، وواثلة بن الاسقع فيما ذكره المحب فى ذخائره

لم يبق مجالا للقول بأن أهل البيت القصد منه الزوجات ، أو أنهن يشتركن مع أقرباء النبى المذكورين فى شمول اطلاق أهل البيت عليهن •

ان جذب الرداء من سلمة — وقد حاولت أن تكون معهم — لأقوى دليل على عدم الشمول لهن فى الاطلاق ، والا لأذن النبى صلى الله عليه وسلم لها ، ولا سيما أنهم فى بيتها ، وهى على خير برأى النبى صلى الله عليه وسلم •

كما أن صريح الحديث أن « الخمسة » سلام الله عليهم كانوا يأكلون ، ثم نزلت الآية فى حقهم ، ولم تدع أم سلمة الى مشاركتهم فى الطعام لأن مشاركتها لهم فى ذلك تشعر بدخولها معهم فى « أهل البيت » ، واذا دخلت ، فان النســاء الباقيات يدخلن بأجمعهن ، ولو كن غير موجودات ، لأن أم سلمة تعتبر ممثلة لهن ، وهذا خلاف الغرض الذى يرمى اليه تعالى مما حدا بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، على أن لا يدعوها الى الطعام ، وأن لا يدعها تدخل معهم تحت الكساء •

ونفهم بالاضافة الى ما تقدم أن الله تعالى أنزل آية التطهير فى وقت كان الطعام من صنع « الزهراء » عليها السلام ، وهى احدى أفراد « الخمسة » المعنيين بالآية الكريمة ، كى لا تكون للنساء أى علاقة فى الموضوع ، وأى مشاركة •

ونفهم أيضا من طلب الرســول الكريم صلى الله عليه وسلم الى بضعته الزهراء أن تدعو بعلها وابنيها ، أنه كان صلى الله عليه وسلم على علم بما سينزل الله تعالى فى شأنهم من فضل عظيم ، والا فلماذا يدعوهم الى طعام صنع فى دارهم ؟

ونستشعر من صنع الزهراء للحريرة ، أن ذلك كان فى الظروف الذى استدعى تخيير النساء بين الطلاق والبقاء ، وأنه صلى الله عليه وآله كان مضربا عن تناول طعامهن أيضا بالاضافة الى تركهن ، الأمر الذى استدعى أن يجلب الطعام له من دار بضعته الزهراء أم الحسنين عليها السلام •

ونفهم من تكرار الحديث تكرار صنع الطعام ، وان كانت الآية الكريمة نزلت بعد صنع الحريرة أول مرة . وكلها كانت من صنع الزهراء سيدة النســاء .

وقد أذاع النبى الكريم صــلى الله عليه وسلم هذه الكرامة لأهل بيته . وأخذ يوطدها فى أذهان الناس ، ويكررها كلما مر فى صلاة الفجر على « أهل البيت » .

وهنا نقطة لابد من ملاحظتها ، وهى أن آية التطهير ــ كما يظهر من كل من نص على نزولها ــ أنها آية مستقلة ، وليست جزءا من آيــة .

ولم يكشف المفسرون ، أو المحدثون : عن الظرف الذى أحاط بالنزول، وهل وافق نزولها مع نزول الآيات التى خصت نساء النبى صلى الله عليه وسلم ، أم كان ذلك من قبل ، أو من بعد ؟

ولعل وضعها هنا كان لوجود القدر الجامع بينها وبين آيات الأزواج، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم عماد « أهل البيت » ، فقد كان أبو القاسم ــ صلى الله عليه وآله وســلم ــ « القاسم المشترك » للجميع ، وكلهم من رجال ونساء لا يخرجون عن أهله ، أو عن أهل داره وهذا كاف لأن يجعل انسجاما فى العرض ، ووحدة فى السياق بين آية التخيير فى النساء ، وآية التطهير فى أهل البيت سلام الله عليهم ، وفى هذا الدليل على عصمة أهل البيت المتمثل بالرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وأهل بيته الطاهرين .

وأما عصمة « أهل البيت » من الخطأ فحسبنا الحديث النبوى المجمع على صحته وتواتره : « انى تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا ، بعدى كتاب الله حبل ممدود من الســماء الى الأرض ، وعترتى أهل بيتى ، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض ، فانظروا كيف تخلفونى فيهما » .

وفى الحديث أمران كل منهما يكفى للدلالة على العصمة من الخطأ :

١ ــ جزم صلى الله عليه وسلم ، بصورة قاطعة على أن التمسك بالكتاب وبأهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم يستدعى أن لا يضل المسلم عن طريق الحق والصواب ٠.

٢ ــ حكم صلى الله عليه وسلم حكما لا يقبل الشــك بأنهما لن يفترقا ، ولو جاز الخطأ لا فترقا ، ولا شك أن الذى يكون مع القرآن لا يتصور فى حقه الخطأ ، وهذا ما جعل الامامية تجمع على حجية اجماع أهل البيت ــ عليهم السلام ــ معتبرة خلاف غيرهم كالعدم فلا يضر بالاجماع ، لأن رأيهم من رأى جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ٠

وقوله : (وحى يوحى) فلا يجوز أن يترك رأيهم ويؤخذ رأى غيرهم وهو معرض للخطأ والصواب ٠

وقد أراد النبى الكريم صلى الله عليه وسلم أن يعرف أمته منزلة عترته العلمية ليكون التمسك بأهل بيته تمسكا من حيث الولاء ، وتمسكا من حيث العلم ، فقال صلى الله عليه وســـلم فيما رواه الطبرانى فى حديث الثقلين : « فلا تقدموهما ــ أى القرآن والعترة ــ فتهلكوا ، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ، ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم » ٠

وقد علق ابن حجر على هذه الفقرات من الحديث الشريف فقال :

« فى قوله صلى الله عليه وسلم دليل على أن من تأهل منهم للمراتب العلية ، والوظائف الدينية ، كان مقدما على غيره » ٠

ولا شك أن المقصـــود من حثه صلى الله عليه وسلم على التمسك بالقرآن والعترة انما هو الاهتداء بهما ، والاسترشاد بحكمهما وأقوالهما، كى لا يضلوا ، وواضح أن من ترك التمسك بهما ضل الطريق بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وسلك طريقا قد خالف القرآن والسنة ، وهذا أمر معلوم من منطوق الحديث ومفهومه » ٠

هذا رأى الامامية فى حجية اجمـــاع « أهل البيت » ، وأما رأى

المذاهب الاسلامية الأربعة فى اجماعهم ــ سلام الله عليهم ــ فهو عدم الحجيــة ، لأنهم يرون أن أهــل البيت بعض الأمة فلا يحقق قولهم اجماعا .

قال الشوكانى فى كتابه ارشاد الفحول ما نصه : « وذهب الجمهور أيضا الى أن اجماع « العترة » وحدها ليس بحجة ، وقالت الزيدية والامامية هو حجة » . ثم قال : « وقد استدلوا بأحاديث كثيرة جدا تشتمل على مزيد شرفهم ، وعظيم فضيلتهم ، ولا دلالة فيها على حجية قولهم ، وقد أبعد من استدل بها على ذلك » .

ويقول عبد العزيز البخــارى فى شرحه « كشف الأسرار » على أصول اليزدوى : « وكذا ما تمسك به الفريق الثانى ، لأن المراد من قوله : (انما يريد الله ليذهب عنكم الرَجس أهل البيت) أزواج النبى صلى الله عليه وسلم .

ثم قال : وكذا قوله : « تركت فيكم الثقلين » من الآحاد ، وخبر الواحد ليس بحجة عندهم على أنه يفيد التمسك بالكتاب والعترة ، ولا العترة وحدها مع أنه معارض بنحو « أصحابى كالنجوم » الدال على جواز التمسك بكل واحد من الصحابة وكون التمسك مهديا وان خالف الصحابى أهل البيت وحينئذ لا يكون قولهم واجب الاتباع » .

أما قوله : ان آية التطهير المقصود منها الأزواج فقد أوضحنا بما لا مزيد عليه أن المقصود من أهل البيت هم العترة الطاهرة لا الأزواج .

وقد اعترف الشوكانى فى ارشاد الفحول بهذه الحقيقة ، فقال مانصه ردا على من قال انها نزلت فى النساء :

« ويجاب عن هذا بأنه قد ورد بالدليل الصحيح أنها نزلت فى على وفاطمة والحسين ، وقد أوضحنا الكلام فى هذا فى (التفسير » الكبير الذى سميناه (فتح القدير) » .

وأما قوله : حديث الثقلين خبر واحد وأنه ليس بحجة عندنا ، فهذا مردود لأن خبر الثقلين متواتر ومجمع على صحته ، وقد نص ابن حجر فى (صواعقه) بأن طرقه كثيرة ، وأنه ورد عن نيف وعشرين

صحيح ، وأنه تكرر الحديث منه صلى الله عليه وآله وسلم فى موارد عديدة اهتماما بشأن الكتاب العزيز ، والعترة الطاهرة •

وأما قوله : بأن خبر الواحد ليس بحجة عندنا ، فهو قول لأحد أعلامنا المتقدمين والا فان الامامية ، منذ السابق والى اليوم ، مجمعة على حجية الخبر اذا صح وروده عن المعصوم ، وهذا أمر واضح لكل من رجع الى كتبنا الأصولية •

وأما قوله : ان حديث الثقلين يفيد التمسك بالكتاب والعترة ، لا بالعترة وحدها ، فهذا صحيح ، والامامية لا ترى غير ذلك ، وتجزم معتقدة بأن الكتاب والعترة متلازمان لا يفترقان كما هو صريح الحديث . وهذا هو حجر الأساس فى حجية قول أهل البيت دون سواهم •

وأما قوله : ان حديث الثقلين معارض بنحو « أصحابى كالنجوم » ، فقد عرفت أن الحديث ثابت الوضع فلا يقوى على المعارضة •

وكان على صاحب (كشف الأسرار) أن يكشف لنا عن سر المرجح الذى قدم القول المكذوب على الحديث الثابت ، اللهم الا أن يكون السر هو الميل القلبى الى قوم ، والانحراف بالقلب عن آخرين ، ويدل على ذلك تقديمه لقول الصحابى بمفرده على رأى أهل البيت بمجموعهم

وللامام جلال الدين السيوطى بحث مستفيض فى أهل البيت ــ قال: أولاد السيدة زينب من عبد الله بن جعفر رضى الله عنهم موجودون بكثرة » وتكلم عليهم من عشرة أوجه :

١ ــ أنهم من آل النبىصلى الله عليه وسلم وأهل بيته بالاجماع ، لأن آل البيت هم المؤمنون من بنى هاشم والمطلب وأخرج مسلم والنسائى ــ كما سبق وذكرنا ــ عن زيد بن أرقم ، قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال : « أذكركم الله فى أهل بيتى » ثلاثا ، فقيل لزيد بن أرقم : ومن أهل بيته ؟ قال : أهل بيته من حرم

عليه الصدقة بعده، قيل : ومن هم ؟ قال : آل على ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس •

٢ — أنهم من ذريته وأولاده بالاجماع ، وهذا المعنى أخص من الذى قبله • وقال البغوى فى التهذيب : « أولاد بنات الانسان لاينسبون اليه ، وان كانوا معدودين فى ذريته ، حتى لو أوصى لأولاد أولاد فلان يدخل فيه والد البنت » •

٣ — أنهم هل يشاركون أولاد الحسن والحسين عليهم السلام فى أنهم ينسبون الى النبى صلى الله عليه وسلم ؟ والجواب : لا •• وهذا المعنى أخص من الوجه الذى قبله ، وقد فرق الفقهاء بين من يسمى ولدا للرجل وبين من ينسب اليه ، ولهذا قالوا : لو قال وقفت على أولادى دخل ولد البنت • ولو قال : وقفت على من ينسب الى من اولادى لم يدخل ولد البنت •

وقد ذكر الفقهاء من خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه ينسب اليه أولاد بناته ولم يذكروا مثل ذلك فى أولاد بنات بناته ، فالخصوصية للطبقة العليا فقط ، فأولاد فاطمة عليها السلام الأربعة ينسبون اليه ، وأولاد الحسن والحسين ينسبون اليهما فينسبون اليه وأولاد زينب وأم كلثوم ينسبون الى أبيهم عمر وعبد الله لا الى الأم — ولا الى النبى صلى الله عليه وسلم لأنهم أولاد بنت بنته لا أولاد بنته ، فجرى الأمر فيهم على قاعدة الشرع فى أن الولد يتبع أباه فى النسب لا أمه ، انما خرج أولاد فاطمة وحدها للخصوصية التى ورد الحديث بها وهو مقصور على ذرية الحسن والحسين •

أخرج الحاكم فى المستدرك عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل بنى أم عصبة ، الا ابنى فاطمة أنا وليهما وعصبتهما » فانظر الى لفظ الحديث كيف خص الانتساب والتعصيب بالحسن والحسين دون أختيهما ، لأن أولاد أختيهما انما ينسبون الى آبائهم •

ولهذا جرى السلف والخلف على أن ابن الشريفة لا يكون شريفا ولو كانت الخصوصية عامة فى أولاد بناته ، وان سفلن ، لكان ابن كل

شريفة شريفا تحرم عليه الصدقة ، وان لم يكن أبوه كذلك كما هو معلوم ، ولهذا حكم صلى الله عليه وسلم لا بنى فاطمة دون غيرها من بناته ؛ لأن أختها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعقب ذكرا حتى يكون كالحسن والحسين فى ذلك ، وانما أعقبت بنتا هى أمامة بنت أبى العاص بن الربيع ؛ فلم يحكم لها صلى الله عليه وسلم بهذا الحكم مع وجودها فى زمنه ، فدل على أن أولادها ، لا ينسبون اليها لأنها بنت بنته ، وأما هى فكانت تنسب اليه بناء على أن أولاد بناته ينسبون اليه ؛ ولو كان لزينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد ذكر لكان حكمه حكم الحسن والحسين فى أن ولده ينسبون اليه صلى الله عليه وسلم •

هذا تحرير القول فى هذه المسألة وقد خبط جماعة من أهل العصر فى ذلك ولم يتكلموا فيه بعلم •

٤ ــ انهم هل يطلق عليهم أشراف ؟ والجواب : ان اسم الشريف كان يطلق فى الصدر الأول على كل من كان من أهل البيت ، سواء كان حسنيا ، أم حسينيا ، أم علويا من ذرية محمد بن الحنفية ، وغيره من أولاد على بن أبى طالب أم جعفريا ، أم عقيليا ، أم عباسيا ، ولهذا نجد تاريخ الحافظ الذهبى مشحونا فى التراجم بذلك : يقول الشريف العباسى ، الشريف العقيلى ، الشريف الجعفرى ، الشريف الزينبى ، فلما ولى الخلفاء الفاطميون بمصر قصروا اسم الشريف على ذرية الحسن والحسين فقط ، فاستمر ذلك بمصر الى الآن •

وقال الحافظ ابن حجر فى كتاب الألقاب الشريف ببغداد لقب لكل عباسى ، وبمصر لكل علوى ، ولا شك أن المصطلح القديم أولى ، وهو اطلاقه على كل علوى وجعفرى ، وعقيلى ، وعباسى ، كما صنعه الذهبى ، وكما أشار اليه الماوردى من أصحابنا ، والقاضى أبو يعلى من الحنابلة ، كلاهما فى الأحكام السلطانية ، ونحوه قول ابن مالك فى الألفية : « وآله المستكملين الشرفا » ، فلا ريب فى أنه يطلق على ذرية زينب المذكورين أشراف ، وكم أطلق الذهبى فى تاريخــه فى كثير من التراجم قوله : الشريف الزينبى ، وقد يقال يطلق على مصطلح أهل مصر ، الشرف أنواع عام لجميع أهل البيت ، وخاصة بالذرية ، فيدخل فيه الزينبية ،

وأخص منه شرف النسبة ، وهو مختص بذرية الحسن والحسين – عليهما السلام – .

٥ – أنهم تحرم عليهم الصدقة بالاجماع لأن بنى جعفر من الآل .

٦ – أنهم يستحقون سهم ذوى القربى بالاجماع .

٧ – أنهم يستحقون من وقف بركة الحبش بالاجماع ، لأن بركة الحبش لم تقف على أولاد الحسن والحسين خاصة ، بل وقفت نصفين : النصف الأول على الأشراف وهم : أولاد الحسن والحسين ، والنصف الثانى على الطالبيين وهم : ذرية على بن أبى طالب ، من محمد بن الحنفية واخوته ، وذرية جعفر بن أبى طالب ، وذرية عقيل ابن أبى طالب ، وثبت هذا الوقف على هذا الوجه على قاضى القضاة بدر الدين يوسف السنجارى ، فى ثانى عشر من ربيع الآخر سنة أربعين وستمائة ، ثم اتصل ثبوته على شيخ الاسلام عز الدين بن عبدالسلام، تاسع عشر من ربيع الآخر من السنة المذكورة ، ثم اتصل ثبوته على قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة ، ذكر ذلك ابن المتوج فى كتابه ايقاظ المتأمل .

٨ – هل يلبسون العلامة الخضراء ؟ والجواب : ان هذه العلامة ليس لها أصل فى الشرع ، ولا فى السنة ، ولا كانت فى الزمن القديم ، وانما حدثت فى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بأمر الملك الأشرف شعبان بن حسين ، وقال فى ذلك جماعة من الشعراء ما يطول ذكره ، من ذلك قول أبى عبد الله بن جابر الأندلسى الأعمى صاحب شرح الألفية المشهور بالأعمى والبصير :

جعلوا لأبناء الرسول علامة ... ان العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة فى وسيم وجوههم ... يغنى الشريف عنالطراز الأخضر

وقال الأديب شمس الدين محمد بن ابراهيم الدمشقى :

أطراف تيجان أتت من سندس ... خضر بأعلام من الأشراف
والأشرف السلطان خصصهم بها ... شرفا ليعرفهم من الأطراف

وحظ الفقيه فى ذلك اذا سئل أن يقول : ليس هذه العلامة الا بدعة مباحة لا يمنع منها من أرادها من شريف وغيره ، ولا يؤثر بها من تركها من شريف وغيره ، وبالمنع منها لأحد من الناس كائنا من كان ليس أمرا شرعيا ، لأن الناس مضبوطون بأنسابهم الثابتة ، وليس لبس العلامة مما ورد به شرع ، فيتبع اباحة ومنعا ، أقصى ما فى الباب أنه أحدث التمييز بهـا لهؤلاء عن غيرهم ، فمن الجائز أن يخص ذلك بخصوص الأبناء المنتسبين الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وهم ذرية الحسن والحسين ، ومن الجائز أن يعمم فى كل ذريته ، وان لم ينسبوا اليه كالزينبية ، ومن الجائز أن يعمم فى كل أهل البيت ، كباقى العلوية ، والجعفرية ، والعقيلية ، كل جائز شرعا ، وقد يستأنس فيها بقوله تعالى : (يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ، ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) ، فقد استدل بها بعض العلماء على تخصيص أهل العلم بلباس يختصون به من تطويل الأكمام ، وادارة الطيلسان ونحو ذلك ليعرفوا فيجلوا ، تكريما للعلم ، وهذا وجه حسن ، والله أعلم .

٩ ــ هل يدخلون فى الوصية على الأشراف ؟

١٠ ــ هل يدخلون فى الوقف على الأشراف ؟

والجواب : انـه ان وجد فى كـلام الموصى والواقف نص يقتضى دخولهم ، أو خروجهم اتبع ، وان لم يوجـد فيه ما يدل على هذا ولا هذا ، فقاعدة الفقه ان الوصايا والأوقاف ، تتنزل على عرف البلد ، وعرف مصر من عهد الخلفاء الفاطميين الى الآن أن الشريف لقب لكل حسنى وحسينى خاصة ، فلا يدخلون على مقتضى هذا العرف ، وانما قدمت دخولهم هذا فى وقف بركة الحبش ، لأن واقفها نص فى وقفه على ذلك حيث وقف نصفها على الأشراف ونصفها على الطالبيين .

ويقول الأستاذ أحمد فهمى أن الشرف ، بمعنى الرفعة والفضيلة كان يطلق فى الصدر الأول ، منذ انبثاق نور الاسلام ، على كل من كان من أهل البيت ، الذين ينتظمهم قول القائل :

على ، وعباس ، عقيل ، وجعفر   وحمزة هم آل النبى بلا نكر

وان نظرة الى تاريخ الذهبى الكبير : تـراه مملوءا فى تراجمه ، بالشريف العباسى ، الشريف العلوى ، الشريف العقيلى ، الشريف الجعفرى ، الشريف الحمزى .. الخ هذا . وان تخصيص الشرف بذرية السبطين ، ليس بشرعى ، بل هو عرفى ، وقد تواضع عليه القوم ، وأحدثوه بعد القرون الثلاثة الأولى ، لمزيد قرب السبطين من النبى صلى الله عليه وسلم ، ولقوله عليه الصلاة والسلام : « ان كل بنى أب عصبة ينتمون اليها الا ولد فاطمة ، فأنا وليهم وعصبتهم ، وهم عترتى، خلقوا من طينتى ، ويل للمكذبين بفضلهم ، من أحبهم أحبه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله » .

وشرف ذرية السـبطين عام ، لا فرق فيـه بين أولاد ذكورهما ، وأولاد اناثهما ، لأبوة النبى صلى الله عليه وسلم عليهم ، كتابا ، وسنة واجماعا ، فقوله تعالى : (ومن ذريته ، داود وسليمان) الآية ، آية على أن ابن البنت من الذريـة ، اذ جعل الله عيسى من ذريـة نوح أو ابراهيم .

وفى مطالب السؤال فى مناقب آل الرسول ، لمحمد بن طلحة ، قال : قد نقل أن الشعبى كان يميل الى آل الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان لا يذكرهم الا وهو يقول : هم أبناء رسول الله صلى الله عليه وسلم وذريته ، فنقل عنه ذلك الى الحجاج بن يوسف ، وتكرر ذلك عنه ، وكثر نقله عنه ، فأغضبه ذاك من الشعبى ونقم عليه ، فاستدعاه الحجاج يوما ، وقـد اجتمع لديه أعيان المصرين الكوفة والبصرة ، وعلماؤهما ، وقراؤهما ، فلما دخل الشعبى لم يهش له ، ولا وفاه حقه من الرد عليه ، فلما جلس قال له : يا شعبى ما أمر بلغنى عنك ، فيشهد عليك بجهلك ، قال ما هو يا أمير ! قال ألم تعلم أن أبناء الرجل هل ينسبون الا اليه ، والأنساب لا تكون الا بالآباء ، فما بالك تقول عن أبناء على انهم أبناء رسول الله صلى الله عليه وسـلم وذريته ، وهل لهم اتصال برسول الله صلى الله عليه وسـلم ، الا بأمهم فاطمة ، والنسب لا يكون بالبنات ، وانما يكون بالأبناء ؟

فأطرق الشعبى ساعة ، حتى بلغ الحجاج فى الانكار عليه ، ووقع انكاره فى مسامعه والشعبى ساكت ، فقال يا أمير : ما أراك الا تكلمنا بكلام

من يجهل كلام الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم أو يعرض عنهما، فازداد الحجاج غضبا منه وقال : ألمثلى تقول هذا يا ويلك ؟ قال نعم هؤلاء قراء المصرين ، حملة الكتاب العزيز ، أليس قد قال الله تعالى: (يا بنى آدم ، يا بنى اسرائيل) وعن ابراهيم : (ومن ذريته عيسى) ، وهل كان اتصال عيسى بالثلاثة الا بأمه ، وقد صح النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا ابنى سيد شباب أهل الجنة » ، فخجل الحجاج ، وعاد يتلطف الشعبى .

وقد قال أبو بكرة ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على المنبر والحسن الى جنبه ، ينظر الى الناس مرة ، واليه مرة ، ويقول : « ان ابنى هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » .

وقد سأل عراقى ، ابن عمر رضى الله عنهما ، عن دم البعوض ، يصيب الثوب ، فقال ابن عمر : انظروا الى هذا يسأل عن دم البعوض ، وقد قتلوا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الحسن والحسين ريحانتاى من الدنيـــا » .

وفى صحيح الترمذى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يخطب اذ جاء الحسن والحسين عليهما الســـلام ، وعليهما قميصان أحمران ، يمشيان ويعثران ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر ، فجمعهما ووضعهما بين يديه ، ثم قال صدق الله ، (انما أموالكم وأولادكم فتنة) ، نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران ، فلم أصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما ، وقال جابر بن عبد الله : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع يوم عرفة ، وهو على ناقته يخطب فسمعته يقول : « يا أيها الناس قد تركت فيكم ما ان أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتى ، أهل بيتى » ومما أخرجه الطبرانى فى كبيره ، عن جابر والخطيب فى تاريخه عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله تعالى جعل ذرية كل نبى فى صلبه ، وجعل ذريتى فى صلب على » ، أى أولاده من فاطمة دون غيرها ، فمن خصائصه صلى الله عليه وسلم ، أن أولاد بناته ينسبون اليه .

وقد قال عمر رضِى الله عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة ، الا سببى ونسبى . وكل ولد أم فان عصـبتهم لأبيهم ، ما خلا ولد فاطمـة ، فانى أنـا أبوهم وعصبتهم » .

وأخرج الطبرانى أنه صلى الله علَيه وسلم قال : « كل بنى أم ينتمون الى عصبة الا ولد فاطمة ، فأنا وليهم وعصبتهم » .

ولهذا الحديث طرق كثيرة ، يقوى بعضها بعضا ، ويشهد لصحته ، صحة حديث تزوج عمر بأم كلثوم ، فقد خطبها عمر الى على ، فذكر له صغرها ، فقيل له : انه ردك ، فعاوده ، فقال له على : أبعث بها اليك ، فان رضيت فهى امرأتك ، فأرسل بها اليه ، فكشف عن ساقها ، فقالت له : لولا أنك أمير المؤمنين ، للطمت عينيك ، وفى رواية : لكسرت أنفك ، ثم جاءت أباها فقالت : بعثتنى الى شـيخ سـوء ، وأخبرته ، فقال لها : يا بنية انه زوجك ، فتزوج بها على مهر أربعين ألفا ، ثم جاء عمر الى المهاجرين فقال : زفونى فزفوه ، فقالوا : بمن تزوجت قال بنت على ، ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كل نسب وسبب سيقطع يوم القيامة ، الا نسبى وسببى ، وكنت قد صاهرت ، فأحببت هذا أيضا » .

وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ابن أخت القوم منهم » ، وقد استدل به الامام أبو بكر من كبار الحنابلة ، على أنه لا يجوز دفع الزكاة الى ولد هاشمية من غير هاشمى اعتبارا بأمه . وعن زيد بن أرقم ، رضى الله عنه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انى تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى أحدهما أعظم من الآخر ، كتاب الله عز وجل ، حبل ممدود من السماء الى الأرض ، وعترتى أهل بيتى ، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض ، فانظروا كيف تلحقوا بى فيهما » .

وعنه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس انما أنا بشر يوشك أن يأتينى

رسول ربى عز وجل فأجيبه ، وانى تارك فيكم الثقلين أولهما : كتاب الله فيه الهدى والنور ؛ فتمسكوا بكتاب الله عز وجل وخذوا به — وحث فيه ورغب فيه — ثم قال وأهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى ثلاث مرات » فقيل لزيد من أهل بيته أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : بلى ان نساءه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده ، قيل : ومن هم ؟ قال : آل على وآل جعفر وآل عقيل وآل عباس ، قيل : أكل هؤلاء حرم عليهم الصدقة ؟ قال : نعم » ، أخرجه مسلم ولا خلاف فى انعقاد الاجماع على شرف السبطين ، وأختيهما لشرف أمهم عليها السلام ، بولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، فوجب أن يطرد انعقاده فى كل من له بالنبى صلى الله عليه وسلم ولادة من قبل أم أو أب .

وقد قال العلامة الزرقانى ، ، فى شرح المواهب عند تعريف المصنف بالسيدة زينب بنت الزهراء عليهما السلام : انها تزوجت بابن عمها عبد الله بن جعفر ، وولدت له عدة أولاد منهم على وأم كلثوم ، وأم كلثوم هذه تزوجت القاسم بن محمد بن جعفر ، وولدت له عدة أولاد ، منهم فاطمة تزوجت حمزة بن عبد الله بن الزبير ، وله منها عقب ، ثم قال : بالجملة فعقب عبد الله بن جعفر ، انتشر من على وأخته أم كلثوم ابنى زينب بنت الزهراء عليها السلام .

قال الزرقانى : ولا ريب أنهم تحرم عليهم الصدقة اجماعا ، لأن بنى جعفر من الآل وأنهم يستحقون سهم ذو القربى بالاجماع وأنهم من ذرية النبى صلى الله عليه وسلم وأولاده عليهم السلام اجماعا .

وقد ورد فى البخارى ، أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قسم مروطا بين نساء من نساء المدينة . فبقى مرط جيد ، فقال له بعض من عنده : يا أمير المؤمنين أعط هذا ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى عندك ، يريدون أم كلثوم بنت على ، فقال عمر : أم سليط أحق ، وأم سليط من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عمر : فإنها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد ، وتزفر تخيط .

وقد قال ابن القيم فى كتابه : (جلاء الأفهام ، فى الصلاة والسلام على خير الأنام) ، فى فصل عقده لمعنى الذرية : فالذرية الأولاد وأولاد

أولادهم ، وهل يدخل فيها أولاد البنات ، فيه قولان للعلماءهما روايتان عن أحمد ، أحدهما يدخلون وهو مذهب الشافعى ، والثانى لا يدخلون وهو مذهب أبى حنيفة واحتج من قال بدخولهم بأن المسلمين يجمعون على دخول أولاد فاطمة عليها السلام فى ذرية النبى صلى الله عليه وسلم ، المطلوب لهم من الصلاة ، لأن أحدا من بناته لم يعقب غيرها .

ثانيا : قال الله سبحانه وتعالى : **(قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور)** .

(ا) يقول الله سبحانه وتعالى : **(لا أسألكم عليه أجرا)[1] أى قل يا محمد لا أسألكم على تبليغ الرسالة جعلا : (الا المودة فى القربى)**.

قال الزجاج : (الا المودة) ، استثناء ليس من الأول أى الا أن تودونى لقرابتى فتحفظونى ــ والخطاب لقريش خاصة ــ قاله ابن عباس وأبو مالك والشعبى وغيرهم .

قال الشعبى : أكثر الناس علينا فى هذه الآية ، فكتبنا الى ابن عباس نسأله عنها ــ فكتب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان أوسط الناس فى قريش فليس بطن من بطونهم الا وقد ولده ، فقال الله له : **(قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى)** ، الا أن تودونى فى قرابتى منكم ، أى تراعوا ما بينى وبينكم فتصدقونى ــ فـ (القربى) ها هنا قرابة الرحم ، كأنه قال : اتبعونى للقرابة ان لم تتبعونى للنبوة.

قال عكرمة : وكانت قريش تصل أرحامها فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم قطعته ، فقال : (صلونى كما كنتم تفعلون) ، فالمعنى على

---

(١) يقول الشوكانى فى تفسيره ان المعنى « لا اسألكم أجرا قط ، ولكن أسألكم المودة فى القربى التى بينى وبينكم . أرقبونى فيها ولا تعجلوا الى ودعونى والناس » .

وعن أبى الديلم ، قال : لما جىء بعلى بن الحسين رضى الله عنهما اسيرا فأقيم على درج دمشق قام رجل من أهل الشام فقال : الحمد لله الذى قتلكم واستأصلكم وقطع قرنى الفتنة ، فقال على بن الحسين رضى الله عنهما أقرأت القرآن ؟ قال نعم ، قال اقرأت آل حم ، قال قرأت القرآن ولم اقرأ آل حم ، قال ما قرأت قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى ؟ قال وانكم لأنتم هم ؟ قال نعم .

هذا : قل لا أسألكم عليه أجرا ، لكن أذكركم قرابتى على استثناء ليس من الأول — ذكره النحاس •

وفى البخارى عن طاوس عن ابن عباس أنه سئل عن قوله تعالى : (**الا المودة فى القربى**) — فقال سعيد بن جبير : قربى آل محمد — فقال ابن عباس : عجلت ! ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش الا كان له فيهم قرابة فقال : (الا أن تصلوا ما بينكم من القرابة) فهذا قول — وقيل القربى قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أى لا أسألكم أجرا الا أن تودوا قرابتى وأهل بيتى كما أمر باعظامهم ذوى القربى • وهذا قول غلى بن حسين وعمرو بن شعيب والسدى ؛ وفى رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس ، لما أنزل الله عزوجل : (**قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى**) — قالوا : يا رسول الله من هؤلاء الذين نودهم ؟ قال : (على وفاطمة وأبناؤهما)•

ويدل عليه أيضا ، ما روى عن على رضى الله عنه قال : شكوت الى النبى صلى الله عليه وسلم حسد الناس لى فقال : « أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة ، أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا » •

وعن النبى صلى الله عليه وسلم : « حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتى وآذانى فى عترتى، ومن اصطنع صنيعة الى أحد منولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فأنا أجازيه عليها غدا ، اذا لقينى يوم القيامة » •

وقال الحسن وقتادة : المعنى الا أن يتوددوا الىالله عزوجل ويتقربوا اليه بطاعة • فـ « القربى » على هذا بمعنى القربة — يقال : قربة وقربى بمعنى كالزلفة والزلفى •

وروى فزعة بن سويد عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم : « قل لا أسألكم على ما أتيتكم به أجرا الا أن توادوا وتقربوا اليه بالطاعة » •

وروى منصور وعوف عن الحسن : (**قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى**) قال يتوددون الى الله عزوجل ويتقربون منه بطاعته•

وقال قوم : الآية منسوخة ، وانما نزلت بمـكة ، وكان المشركون يؤذون النبى عليه السلام ، فنزلت هذه الآية وأمرهم الله بمودة نبيه صلى الله عليه وسلم وصلة رحمه ، فلما هاجر آوته الأنصار ونصروه ، وأراد الله أن يلحقه باخوانه من الأنبياء حيث قال : **(وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين)** ، فأنزل الله تعالى : **(قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ان أجرى الا على الله)** ، فنسخت بهذه الآية وبقوله : **(قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتـكلفين)** وقوله : **(أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير)** وقوله : **(أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون)** .

قاله الضحاك والحسين بن الفضل ، ورواه جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال الثعلبى : وليس بالقوى ، وكفى قبحا يقول من يقول ان التقرب الى الله بطاعته ومودة نبيه صلى الله عليه وسلم وأهل بيته منسوخ ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من مات على حب آل محمد مات شهيدا ، ومن مات على حب آل محمد جعل الله زوار قبره الملائكة والرحمة ، ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس اليوم من رحمة الله ، ومن مات على بغض آل محمد لم يرح رائحة الجنة ، ومن مات على بغض آل بيتى فلا نصيب له فى شفاعتى » . والزمخشرى فى تفسيره يقول : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الايمان ، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها ، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له فى قبره بابان الى الجنة ، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا ، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة » . قال النحاس : ومذهب عكرمة ليست بمنسوخة ، قال : كانوا يصلون أرحامهم ، فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم ، قطعوه فقال : « قل لا أسألكم عليه أجرا الا أن تودونى وتحفظونى لقرابتى ولا تكذبونى » ، قلت : وهذا هو معنى قول ابن عباس فى البخارى والشعبى عنه بعينه ، وعليه لا نسخ . قال النحاس : وقول الحسن حسن ، ويدل على صحته الحديث المسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا أسألكم على ما أنبئكم به من

البينات والهدى أجرا ،الا أن توادوا الله عزوجل ، وأن تتقربوا اليه بطاعته » ، فهذا المبين عن الله عزوجل قد قال هذا ، وكذا قالت الأنبياء صلى الله عليهم قبله : (ان أجرى الا على الله) •

وقيل فى سبب نزول الآية عن الحسن رضى الله عنه : نزلت حين تفاخرت الأنصار والمهاجرون ، فقالت الأنصار نحن فعلنا ، وفخرت المهاجرون بقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن ابن عباس قال : سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فخطب فقال للانصار : « ألم تكونوا أذلاء فأعزكم الله بى ، ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله لى ، ألم تكونوا خائفين فأمنكم الله بى ألا تردون على » فقالوا : بم نجيبك ؟ قال : « تقولون ألم يطردك قومك فآويناك ، ألم يكذبك قومك فصدقناك » فعدد عليهم ، قال فجثوا على ركبهم فقالوا : أنفسنا وأموالنا لك • فنزلت **(قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى)**• وقال قتادة : قال المشركون : لعل محمد فيما يتعاطاه يطلب أجرا ؛ فنزلت هذه الآية ليحثهم على مودته ومودة أقربائه • قال الثعلبى : وهذا أشبه بالآية لأن السورة مكية ، قوله تعالى : **(ومن يقترف حسنة)** أى يكتسب •

وقال ابن عباس : (ومن يقترف حسنة) قال المودة لآل محمد صلى الله عليه وسلم : (نزد له فيها حسنا) أى نضاعف له الحسنة بعشر فصاعدا : (ان الله غفور شكور) •

قال قتادة : (غفور) للذنوب ، (شكور) للحسنات ، وقال السدى : (غفور) لذنوب آل محمد عليه السلام ، (شكور) لحسناتهم •

وقال الحسن بن الفضل ، ورواه ابن جرير عن الضحاك ، أن الآية نزلت بمكة ، وكان المشركون يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمرهم الله بمودته ، فلما هاجر آوته الأنصار ونصروه ، فأنزل الله عليه : (وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين) • وأنزل عليه : (قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ان أجرى الا على الله) •

ويشير لتلك الآية الكريمة سيدى **محيى الدين** بن عربى فى قوله :

أرى حب أهل البيت عندى **فريضة**   **على رغم أهل البعد** يورثنى القربا
فما اختار خير الخلق منا جـــزاءه   على هديه الا المودة فى القـــربى

ويشير الامام الشافعى **الى مضمون الآية** الكريمة فيقول :

يـــا أهل بيت رســـول الله حبكم   **فرض من الله** فى القرآن أنزلـــه

ويقول الشيخ شمس الدين بن **العربى** :

رأيت ولائى آل طـــه فريضـــة   **على رغم أهل** البعد يورثنى القربى
فما طلب المبعوث أجرا على الهدى   **بتبليغه الا** المـــودة فى القـــربى

وروى البزار والطبرانى **أن الحسن بن** على رضى الله عنهما خطب يوما فقال : « من عرفنى فقد عرفنى ، **ومن لم** يعرفنى فأنا الحسن بن محمد صلى الله عليه وسلم ، **أنا ابن البشير** ، أنا ابن النذير . أنا ابن آل البيت الذين افترض **الله مودتهم على** كل مسلم ، وأنزل فيهم : **(قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى ، ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا)** ، فاقتراف الحسنات مودتنا أهل البيت » •

وأفاد الفخر الرازى ما نصه : **واذا ثبت هذا** يعنى أنها نزلت فى على ، وفاطمة وابنيهما ، وجب **أن يكونوا مخصوصين** بمزيد التعظيم ، وتدل عليه عدة وجوه •

(أ) قوله تعالى : **(الا المودة فى القربى)** ووجه الاستدلال به أن آل محمد صلى الله عليه وسلم **هم الذين يؤول** أمرهم اليه ؛ فكل من كان من أمرهم اليه وأشد **وأكمل كانوا هم « الآل »** ، ولا شك أن فاطمة وعليا والحسن والحسين رضى **الله** عنهم ، كان التعلق بينهم وبين الرسول عليه الصلاة **والسلام** ، **أشد التعلقات** فوجب أن يكونوا هم الآل •

(ب) ولا شك أن النبى عليه الصلاة والسلام ، كان يحب فاطمة رضى الله عنها ، وثبت بالنقل المتواتر عن الرسول عليه الصلاة والسلام أنه كان يحب عليا والحسن والحسين (كما سيرى القارىء فى الفصول القادمة) ، واذا ثبت ذلك وجب على كل الأمة مثله لقوله تعالى : (**واتبعوه لعلكم تهتدون**) ولقوله تعالى : (**فليحذر الذين يخالفون عن أمره**) ولقوله :(**أن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله** » **ولقوله سبحانه وتعالى : (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة**) •

(جـ) ان الدعاء للآل منصب عظيم ، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد فى الصلاة ، فان ملايين المسلمين فى كل العصور والأزمان يصلون على النبى وآله فى صلواتهم أثناء الليل والنهار •

أليس كل مسلم كان أو سيكون يختم صلاته قائلا : « التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله ، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد ألا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله ، اللهم صلى على محد وعلى آل محمد »

وهذا التعظيم لم يوجد فى حق غير الآل فكل ذلك يدل على أن حب آل محمد واجب ، وسنزيد القارىء تفصيلا فى الفصول القادمة ان شاء الله •

وأخيرا — فقد روى أبو نعيم بسنده عن جابر — قال : « جاء أعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد اعرض على الاسلام فقال : « تشهد أن لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، قال تسألنى عليه أجرا ؟ قال : لا ، الا المودة فى القربى ، قال : قرباى أو قرباك ؟ قال : قرباى قال : هات أبايعك — فعلى من لا يحبك ، ولا يحب قرباك لعنه الله ، قال صلى الله عليه وسلم : آمين •

السنة وأهل البيت

١ — فى فضل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : توفى لصفية بنت عبد المطلب رضى الله عنها ابن ، فبكت عليه ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تبكين يا عمة من توفى له ولد فى الاسلام كان له بيت فى الجنة يسكنه » فلما خرجت لقيها رجل ، فقال لها : ان قرابة محمد لن تغنى عنك من الله شيئا ، فبكت فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوتها ، ففزع من ذلك فخرج ، وكان صلى الله عليه وسلم مكرما لها يبرها ويحبها ، فقال لها : يا عمة ، تبكين وقد قلت لك ما قلت ؟ قالت : ليس ذلك أبكانى ، وأخبرته بما قال الرجل ، فغضب صلى الله عليه وسلم وقال : « ما بال أقوام يزعمون أن قرابتى لا تنفع أن كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة الا سببى ونسبى وان رحمى موصولة فى الدنيا والآخرة » .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « فتزوجت أم كلثوم لما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، وأحببت أن يكون بينى وبينه نسب وسبب[1] .

ومن مزيد فضلهم أن الله قد وكل بعض الملائكة بمعونتهم — وكما ورد عنه صلى الله عليه وسلم أبا ذر ينادى عليا ، فرأى رحا تطحن فى بيته ، وليس معها أحد فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك ،

---

(١) لما خطب عمر بن الخطاب لنفسه أم كلثوم بنت فاطمة من ابيها على ابن ابى طالب فاعتل سيدنا على بصغرها وبأنه حابسها لولد أخيه جعفر فألح عليه عمر ثم صعد المنبر ، فقال : أيها الناس ، والله ما حملنى على الالحاح على على فى ابنته الا انى سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول: كل سبب ونسب وصهر ينقطع يوم القيامة ، الا سببى ونسبى وصهرى .

فقال : « يا أبا ذر ، أما علمت أن لله ملائكة سياحين فى الأرض قد وكلوا بمعونة آل محمد صلى الله عليه وسلم » .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال :

كان لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم خادم تخدمهم يقال لها بريرة ، فلقيها رجل ، فقال لها : يا بريرة غطى شفيعاتك[1] ، فان محمدا صلى الله عليه وسلم لن يغنى عنك من الله شيئا ، قالت : فأخبرت النبى صلى الله عليه وسلم ، فخرج يجر رداءه ، وكنا معشر الأنصار نعرف غضبه بجر ردائه وحمرة وجنتيه ، فأخذنا السلاح ثم أتيناه فقلنا : يا رسول الله ، مرنا بما شــئت ، والذى بعثك بالحق نبيا لو أمرتنا بآبائنا وأمهاتنا وأولادنا لمضينا لقولك فيهم ، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« من أنا ؟ قالوا : أنت رسول الله .

قال : نعم ، ولكن من أنا ؟

قلنا : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف صلى الله عليه وسلم .

قال : أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وأول من ينفض التراب عن رأسه ولا فخر ، وأول داخل الجنة ولا فخر ، وصاحب لواء الحمد ولا فخر ، وفى ظل الرحمن يوم لا ظل الا ظله ولا فخر ، ما بال أقوام يزعمون أن رحمى لا ينفع ، بل تنفع حتى تبلغ حكم وحاء[2] انى لأشفع فأشفع حتى أن من أشفع له ليشفع فيشفع حتى أن ابليس ليتطاول طمعا فى الشــفاعة[3] » .

---

(١) الشفعة : الذؤابة .

(٢) هم احدى قبيلتين من اليمن — وقيل هما حيان من اليمن من وراء رمل يبرين .

(٣) أخرجه ابن البحترى .

وصية الرسول صلى الله عليه وسلم فى أهل بيته :

روى جابر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بعرفات وعلى تجاهه : « ادن منى يا على : خلقت أنا وأنت من شجرة أنا أصلها وأنت فرعها والحسن والحسين أغصانها فمن تعلق بغصن منها أدخله الله الجنة » .

وعن أبى بكر الصديق أنه صلى الله عليه وسلم قال : « يا أيها الناس ارقبوا محمدا فى أهل بيته » أى احفظونى فيهم فلا تؤذوهم .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « خيركم خيركم لأهلى من بعدى » .

وأخرج ابن سعد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال « استوصوا بأهل بيتى خيرا فانى اخاصمكم عنهم غدا ومن أكن خصيمه أخصمه الله ومن أخصمه الله أدخله النار » .

أهل البيت مكان الرأس من الجسد :

ان الواجب على المسلمين أن يجعلوا أهل بيت نبيهم مكان الرأس من الجسد ومكان العينين من الرأس ، فيتمسكوا بأهدافهم ويأخذوا بأفعالهم وأقوالهم ، ولو أنهم حققوا ذلك لكانوا سادات الأمم وهداة الشعوب ، ولكنهم ناصبوهم العداء ، وأخروهم عن مراتبهم وازالوهم عن مكانتهم ، فأصيبت الأمة بالنكسات وحفت بها الخطوب والأخطار .

وعن أبى ذر : « اجعلوا أهل بيتى منكم مكان الرأس من الجسد ، ومكان العينين من الرأس ولا تهتدى الرأس الا بالعينين » .

وصح أن بنت أبى لهب لما هاجرت الى المدينة ، قيل لها : لن تغنى عنك هجرتك أنت بنت حطب النار — فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فاشتد غضبه ، ثم قال : « ما بال أقوام يؤذونى فى بيتى وذوى رحمى ألا من آذى نسبى وذوى رحمى ، فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله » .

أساس الاسلام حب أهل البيت :

مما لا شك فيه أن المسلمين مسئولون أمام الله عن مودة أهل البيت وعن حبهم ، ومن أظهر ألوان الحب الأخـذ بأقوالهم والاقتداء بهم فى جميع المجالات .

أخرج البخارى فى تاريخه عن الحسن بن على عليهما السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكل شىء أساس وأساس الاسلام حب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب أهـل بيته » .

وأخرج الديلمى عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم « أثبتكم على الصراط أشـدكم حبا لأهـل بيتى وأصحابى » .

وأخرج الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه وعن جسده فيما أبلاه ، وعن ماله فيما أنفقه ومن أين اكتسبه وعن محبته أهل البيت » .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أدبوا أولادكم على ثلاث خصال حب نبيكم وحب أهل بيته ، وعلى قراءة القرآن ، فان حملة القرآن فى ظل من أنبيائه وأصفيائه » .

وأخرج الديلمى عن على عليه السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة ، المكرم لذريتى والقاضى لهم الحوائج والساعى لهم فى أمورهم عندما اضطروا اليه ، والمحب لهم بقلبه ولسانه » .

الاقتداء بأهل البيت :

قال صلى الله عليه وسلم : « من سره أن يحيا حياتى ، ويموت مماتى ، ويسكن جنة عدن غرسها ربى ، فليوال عليا من بعدى ، وليوال

وليه ، وليقتد بأهل بيتى من بعــدى فانهم عترتى خلقوا من طينتى ورزقوا فهمى وعلمى ، فويل للمكذبين بفضلهم من أمتى . القاطعين فيهم صلتى ، لا أنالهم الله شفاعتى » •

أهل البيت لا يقاس أحد بهم :

عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد » •

الحث على حب أهل البيت والزجر عن بغضهم :

أشاد القرآن الكريم بفضل أهل البيت ، كما احتفى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرنهم بمحكم الكتاب ، ونطق كتاب الله العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، بفضل أهل البيت وسمو مكانهم عند الله فواجب كل مسلم التفانى فى حب أهل البيت•

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يا بنى عبد المطلب انى سألت الله لكم ثلاثا : أن يثبت قائمكم ، وأن يهدى ضالتكم ، وأن يعلم جاهلكم ، وسألت الله أن يجعلكم جوداء نجداء رحماء فلو أن رجلا صف بين الركن والمقــام فصلى وصام ثم لقى الله وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار » •

وبسنده عن ابى عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة ، وأحبونى لحب الله ، وأحبوا أهل بيتى لحبى »•

وبسنده عن أبى سعيد الخدرى ، وصححه على شرط مســلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد الا أدخله الله النار ، وفى رواية : الا أكبه الله فى النار » •

وعنه أيضا أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال : « اشتد غضب الله على من آذانى فى عترتى » •

وعن جابر بن عبد الله رضى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يحبنا أهل البيت الا مؤمن تقى ، ولا يبغضنا الا منافق شقى » .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أبغض أهل البيت فهو منافق » .

وعن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أللهم ارزق من أبغضنى وأهل بيتى كثرة المال والعيال[1] » .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده لا تفارق روح جسد صاحبها حتى يأكل من ثمر الجنة أو من شجر الزقوم وحتى يرى ملك الموت ويرانى ويرى عليا وفاطمة والحسن والحسين ، فان كان يحبنا قلت : يا ملك الموت ارفق به فانه كان يحبنى وأهل بيتى ، وان كان يبغضنى ويبغض أهل بيتى قلت : يا ملك الموت شدد عليه فانه كان يبغضنى ويبغض أهل بيتى ، لا يحبنا الا مؤمن ، ولا يبغضنا الا منافق شقى » .

وأخرج الطبرانى عن الحسن بن على عليهما السلام أنه قال لمعاوية ابن خديج : يا معاوية بن خديج : اياك وبغضنا ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يبغضنا أحد ، ولا يحسدنا أحد الا زيل يوم القيامة عن الحوض بسياط من نار » .

وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول : لو كان لى مدخل فى العصية مع قتلة الحسين بن على وخيرت بين الجنة والنار لاخترت دخول النار حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقع بصره على فى الجنة .

ولما ضرب جعفر بن سليمان مالكا رضى الله عنه ، غشى على مالك فدخل عليه الناس ، فلما أفاق قال لهم أشهدكم أنى قد جعلت ضاربى فى حل ، فقيل : لم ؟ فقال : خفت أن أموت فألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستحى أن يدخل أحد مع آله النار بسببى ، فلما توالى المنصور طلب

---

(١) قال ابن حجر : كفاهم أن يكثر مالهم فيطول حسابهم ، وان تكثر عيالهم فتكثر شياطينهم .

أن يقتص له منه . فقال الامام مالك رضى الله عنه : أعوذ بالله . والله ما ارتفع منها سوط عن جسمى الا وقد جعلته فى حل منه لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولأبى حسن بن جبير رحمه الله :

وحب النبى المصطفى وابن عمه	عليا وسبطيه وفاطمة الزهراء
هم أهل بيت أذهب الرجس عنهم	وأطلعهم أفق الهدى أنجما زهرا
موالاتهم فرض على كل مسـلم	وحبهم أسنى الذخائر الأخرى
وما أنا للصـحب الكرام بمبغض	فانى أرى البغضاء فى حقهم كفرا
هم جـاهدوا فى الله حق جهاده	وهم نصروا دين الهدى بالظبا نصرا
عليهم سلام الله ما دام ذكرهم	لدى الملأ الأعلى وأكرم به ذكرا

الرسول أول من يشفع لآل البيت يوم القيامة :

عن ابن عمر ، رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] : « أول من أشفع له يوم القيامة من أمتى ، أهل بيتى ، ثم الأقرب فالأقرب ، ثم الأنصار ، ثم من آمن بى واتبعنى من أهل اليمن ثم سائر العرب ، ثم الأعاجم » .

وفى خبر عنه صلى الله عليه وسلم : « أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة المكرم لذريتى ، والقاضى لهم حوائجهم ، والساعى لهم فى أمورهم عندما اضطروا اليه ، والمحب لهم بقلبه ولســانه » .

---

(١) ولا يتنافى بين هذا وبين ما رواه البزار والطبرانى وغيرهما « أول من أشفع له من أمتى أهل المدينة ، ثم أهل مكة ، ثم أهل الطائف » فان هذا ترتيب من حيث البلدان ، وذاك من حيث القبائل ، فيحتمل ان المراد البداءة فى قريش بأهل المدينة ، ثم مكة ، ثم الطائف ، وكذا فى الأنصار من بعدهم.

وأخرج الخطيب فى تاريخه عن على عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شفاعتى لأمتى من أحب أهل بيتى » .

وأخرج الطبرانى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول من أشفع له من أمتى أهل بيتى » .

أهل البيت مثل سفينة نوح :

حديث السفينة وباب حطة ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : مثل أهل بيتى فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تأخر عنها هلك ، أو من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق ، أو من دخلها نجا ومن تخلف عنها هلك .

وقال ابن حجر فى الصواعق : جاء من طرق عديدة يقوى بعضها بعضا : انما مثل أهل بيتى فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا . وفى رواية مسلم : ومن تخلف عنها غرق . وفى رواية : هلك . وانما مثل أهل بيتى فيكم مثل باب حطة فى بنى اسرائيل من دخله غفر له . وفى رواية : غفر له الذنوب .

وروى الحاكم فى المستدرك بسنده عن حنش الكنانى : سمعت أبا ذر يقول وهو آخذ باب الكعبة : من عرفنى فأنا من عرفتم ، ومن أنكرنى فأنا أبو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مثل أهل بيتى مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق » .

وتمثيلهم بسفينة نوح صريح فى وجوب اتباعهم والاقتداء بأقوالهم وأفعالهم وحرمة اتباع من خالفهم ، وأى عبارة أبلغ فى الدلالة على ذلك من قوله : من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك أو غرق ، فكما أن كل من ركب مع نوح فى سفينته نجا من الغرق ، ومن لم يركب غرق وهلك ، فكذلك كل من اتبع أهل البيت أصاب الحق ونجا من سخط الله وفاز برضوانه ، ومن خالفهم هلك ووقع فى سخط الله وعذابه ، وذلك دليل عصمتهم والا لما كان كل متبع لهم ناجيا وكل مخالف لهم هالكا ، وهذا عام مخصوص كما سيجىء فى حديث الثقلين . وليس المراد به الا أئمة

أهل البيت الذين وقع الاتفاق على تفضيلهم ، واشتهروا بالعلم والفضل والزهد والورع والعبادة ، واتفقت الأمة على عدم عصمة غيرهم ، وغير المعصوم لا يكون متبعه ناجيا ، ومخالفه هالكا على كل حال . ولا يقصر عنه فى الدلالة خبر تسميتهم بباب حطة الدال عى أن النجاة فى اتباعهم والخلاص من الذنوب والمعاصى بالأخذ بطريقتهم •

وفى بيان هذا الحديث أيضا يقول الامام شرف الدين : « وأنت تعلم أن المراد من تشبيههم عليهم السلام بسفينة نوح أن من لجأ اليهم فى الدين فأخذ فروعه وأصوله عن أئمتهم الميامين نجا من عذاب النار ، ومن تخلف عنهم كان كمن آوى يوم الطوفان الى جبل ليعصمه من أمر الله غير أن ذاك غرق فى المـاء وهذا فى الحميم والعياذ بالله •

والوجه فى تشبيههم عليهم السلام بباب حطة ، هو أن الله تعالى جعل ذلك الباب مظهرا من مظاهر التواضع لجلاله والنجوع لحكمه ، وبهذا كان سببا للمغفرة •

وهذا وجه الشـبه ، وقد حاول ابن حجر اذ قال بعد أن أورد هذه الأحاديث وغيرها من أمثالها :

«ووجه تشبيههم بالسفينة أن من أحبهم وعظمهم شكرا لنعمة مشرفهم ، وأخذ بهدى علمائهم نجا من ظلمة المخالفات ، ومن تخلف عن ذلك غرق فى بحر كفر النعم وهاك فى مفاوز الطغيان » الى أن قال : « وبباب حطة — يعنى ووجه تشبيههم بباب حطة — أن الله جعل دخول ذلك الباب الذى هو باب أريحا أو بيت المقدس مع التواضع والاستغفار سـببا للمغفرة ، وجعل لهذه الأمة مودة أهل البيت سببا لها » •

وجوب محبة أهل البيت واكرامهم وتوقيرهم والتمسك بهم :

حب آل البيت فرض عل كل مؤمن ، لأنهم شجرة النبوة ومحطة الرسالة ومنبع الرحمة ومعدن العلم ، وهم ينابيع الحكمة ، فيهم كرائم القرآن ، وهم كنوز الرحمن ، ان نطقوا صدقوا ، ناصرهم ومحبهم ينتظر رحمة الله ونفحاته ، وعدوهم ومبغضهم يستقبل نقمة الله وسطواته ، بهم هدايتنا

من الظلماء . وهم موضع سر المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وملجأ أمره ومؤمل كلمه ، فهم أساس الدين ، وعماد اليقين .

واكرام أهل البيت واجب تعظيما للرسول عليه الصلاة والسلام ، وعن أنس قال : بينما النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد اذ أقبل على فسلم، ثم وقف ، فنظر النبى صلى الله عليه وسلم فى وجوه الصحابة أيهم يفسح له ، وكان أبو بكر رضى الله عنه عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم فتزحزح عن مجلسه قال : ها هنا يا أبا الحسن ، فجلس بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين أبو بكر ، فعرف البشر فى وجه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال : « يا أبا بكر ، انما يعرف الفضل من النـاس ذووا الفضـل » .

وفى المناقب عن هشام بن حسان ، قال خطب الحسن بن على رضى الله عنه بعد بيعة الناس له بالأمر فقال : « نحن حزب الله الغالبون ، ونحن عترة رسوله الأقربون ، ونحن أهل بيته الطيبون ، ونحن أحد الثقلين اللذين خلفهما جدى صلى الله عليه وسلم فى أمته ، ونحن ثانى كتاب الله ، فيه تفصيل كل شىء ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فالمعول علينا فى تفسيره ، ولا تظنى تأويله ، فأطيعونا فان طاعتنا مفروضة اذا كانت بطاعة الله عز وجل ، وطاعة رسوله مقرونة ، قال جل شأنه : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) .

وعنه أيضا قال : « نحن أئمة المسلمين وحجج الله على العالمين ، وسادة المؤمنين ، وقادة الغر المحجلين ، وموالى المسـلمين . ونحن أمان لأهل الأرض ، كما أن النجوم أمان لأهل السماء ، بنا ينزل الغيث ، وتنتشر الرحمة وتخـرج بركات الأرض ، ولولا ما على الأرض منا لانساخت بأهلهـا » .

ومن خطبة للامام على كرم الله وجهه يذكر فيها أهل البيت :

« هم عيش العلم وموت الجهل ، يخبركم حلمهم عن علمهم وظاهرهم عن باطنهم وصمتهم عن حكم منطقهم ، لا يخالفون الحق ولا يختلفون

فيه ، هم دعائم الاسلام ، وولائج الاعتصام بهم عاد الحق الى نصابه ، وانزاح الباطل عن مقامه ، وانقطع لسانه عن منيته ، عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية لاعقل سماع ورواية ، فان رواة العلم كثير ووعاته قليل »٠

ومن خطبة رضى الله عنه :

« فأين تذهبون وأنى تؤفكون ، والأعلام قائمة ، والآيات واضحة والمنابر منصوبة ، فأين يتاه بكم وكيف تعمهون ، وبينكم عترة نبيكم وهم ألسنة الصدق ، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن ٠

أيها الناس ، خذوها عن خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم أنه يموت من مات منا وليس بميت ، ويبلى من بلى منا وليس ببال . فلاتقولوا بما لا تعرفون ، فان أكثر الحق فيما تنكرون واعذروا من لا حجة له عليكم »٠

ويقول رضى الله عنه :

« انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم ، واتبعوا أثرهم . فانهم يخرجون بكم الى هدى ولن يعيدوكم فى ردى ، فان لبدوا فالبدوا . وان نهضوا فانهضوا ولا تستبقوهم فتضلوا ، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا » ٠

وخطب رضى الله عنه بالمدينة بعد بيعة الناس فقال :

« ألا ان أبرار عترتى وأطايب أرومتى أحلم الناس صغارا وأعلمهم كبارا ، ألا وانا أهل بيت من علم الله علمنا وبحكم الله حكمنا ، ومن قول الصادق الصدوق صلى الله عليه وسلم سمعنا ، فان تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرهم ، وان تفعلوا يهلككم الله ، ومعنا راية الحق من تبعها لحق ، ومن تأخر عنها محق ، ألا وان بنا يدرك كل مؤمن ثواب عمله . وبنا تخلع ربقة الذل من أعناقكم ، وبنا فتح الله تعالى وبنا يختم » ٠

ويقول الامام الشافعى فى حب أهل البيت :

يا آل بيت رسـول الله حبكمو	فرض من الله فى القـرآن أنزله
يكفيكمو من عظيم الفخـر أنكمو	من لم يصل عليكم لا صـلاة له

ولبعضهم :

هم العروة الوثقى لمعتصم بهـــا مناقبهم جاءت بوحى وانزال
مناقب فى الشـــورى وفى هل أتى أتت
وفى ســـــورة الأحـــزاب يعرفها التـــالى
وهم آل بيتِ المصـــــطفى فـــردا وهم
على النـــاس مفروض بحـــكم وأســـجال

ويقول البوصيرى :

وهل حبكم للنـــاس الا عقيـــدة على أســـها فى الله تبنى القواعد
وان اعتقـــاداً خاليـــا مِن محبـــة وردكـــم آل النبى لفاســـــد

ومن قصيدة للصاحب بن عباد :

حب النبى وأهل البيت معتمدى اذا الخطوب أســـاءت رأيها فينا
يا رب ســـهل زيارتى مشاهدهم فان روحى تهوى ذاك الطينـــا
يا رب صـــير حياتى فى محبتهم ومحشرى معهم آمنين آمينـــا

ويقول الفرزدق فى قصيدته التى مدح بها زين العابدين على بن الحسين رضى الله عنهما :

من معشر حبهم دين ، وبغضهمو كفر ، وقربهمو منجى ومعتصم
مقـــدم بعد ذكـــر الله ذكرهمو فى كل بدء ومختـــوم به الكلم
ان عـــــد أهـــل التقى كانـــوا أئمتهم
أو قيـــل : من خير أهـــل الأرض قيل هم
يســـتدفع الشر والبلوى بحبهمو ويسترب به الاحســـان والنعم

ويقول الشيخ أحمد الحلوانى الكبير :

هم الـــدين والدنيـــا لعمـــرى همو همو
فقـل فيهم ما شـــئت لا ترهبن نكـــرا

بدور ســـمت عن شـــمس أكرم مرســـل
أناروا دياجى الـــكون بالطلعـــة الغـــرا

وبالبر والتقـــوى وبالحـــلم والنـــــدى
وبالعـــلم والفتـــوى وبالذكر والذكرى

ويقول دعبل الخزاعى :

كلامك فى أهـــــل النبى فانهم — أحباى ما عاشـــوا وأهـــل ثقاتى
تخيرتهم رشـــدا لأمـــرى فانهم — على كل حـــال خيرة الخـــيرات
فيارب زدنى من يقينى بصـــيرة — وزد حبهم يا رب فى حســـناتى

ويقول الشاعر فى مدح أهل البيت :

لآل البيت عــــز لا يـــزول — وفضـــل لا تحيـــط به العقـــول
واجلال ومجـــد قد تســـامى — وقـــدر ما لغايتـــه وصـــــول
وفى التنزيل بالتطهـــير خصـــوا — ومدحتهم بهـــا شـــهد الرســـول
لهـــم عـــزم وســـــلطنة وجـــاه — ودام لهـــم من الله القبـــــول
ســـيوف فى الأعـــادى فاتـــكات — وســـطوتهم لهـــا رعب مهـــول
بدور الدين بهمـــا قـــد تجلت — تـــكاد الشـــمس من خجـــل تزول
زكوا أصـــلا بنســـبتهم ولكن — يطيب الفرع ما طابت أصـــول
وكيف القـــول فى قـــوم أبوهم — له جبريل فى الدنيـــا رســـول
معـــاذ الله أن أخشى نـــكالا — ولى فى حبهم باع طـــويل

حديث الثقلين[1] :

وعن زيد بن أرقم عن النبى صلى الله عليه وسلم : « أنا تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله فيه الهـدى والنور ، فخـذوا بكتاب الله ، واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ، ثم قال : وأهل بيتى ، أذكركم الله فى أهل بيتى ، أذكركم الله فى أهل بيتى ، أذكركم الله فى أهل بيتى » ، وسئل زيد من أهل بيته ؟ قال : هم من حرم الصـدقة بعده ، هم آل على ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس .

وفى رواية لمسلم : فقلنا من أهل بيته نساؤه ؟ قال لا ، لأن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ، ثم يطلقها فترجع الى أبيها وقومها ، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده ، وسبق أن بينا ذلك .

وعن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم : « انى تارك فيكم الثقلين ، وفى رواية خليفتين : أحدهما أكبر من الآخر ، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض ، وعترتى أهل بيتى ، وأنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض .

وفى رواية : وان اللطيف الخبير أخبرنى أنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا بما تخلفون فيهما .

وفى رواية أخرى : انى قد تركت فيكم ما أن أخذتم به لن تضلوا بعدى : الثقلين ، أحدهما أكبر من الآخر ، كتاب الله حبل ممدود من

---

(١) أحاديث الثقلين التى رواها اجلاء علماء اهل السنة وأكابر محدثيهم فى صحاحهم بأسانيدهم المتعددة ، واتفق على روايتها الفريقان ، فرواها مسلم والترمذى فى صحيحيهما ، والامام احد بن حنبل فى مسنده ، والثعلبى فى تفسيره ، وابن المغازلى الشافعى فى المناقب ؛ وصـاحب الجمع بين الصحاح الستة ، والحميدية من افراد مسلم ، والسمعانى فى فضـائل الصحابة ، وموفق بن احمد ، والطبرانى ، وابن حجر فى صواعقه وغيرهم، ورويت من طريق اهل البيت باثنين وثمانين طريقا ، والعقد الفريد لابن عبد ربه القرطبى ، وذخائر العقبى لاحمد بن عبد الله الطبرى ، وتفسير الخازن فى تفسير آية الاعتصام ، وتفسير ابن كثير فى آية المودة ، وفى تفسير آية التطهير ، وشرح نهج البـلاغة لابن ابى الحديد ، وفى الحليـة لابى نعيم الاصفهانى ، وأسد الغابة لابن الاثير ، والدر النثر للسيوطى ، ولسـان العرب لجمال الدين الافريقى .

السماء الى الأرض ، وعترتى أهل بيتى ، وأنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض •

وفى رواية أخرى : انى تارك فيكم أمرين لن تضلوا ان تبعتموهما . وهما كتاب الله ، وعترتى أهل بيتى فلا تتقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ، ولا تعلموهم فانهم أعلى منكم ، وقد يكون هذا صريحا فى خروج النساء من أهل البيت واختصاصهم بعشيرته وعصبه وهو رأينا الذى انتهينا اليه فى ختام هذا البحث ، والله أعلم •

وحديث الثقلين من أوثق الأحاديث النبوية ، وأكثرها ذيوعا . وقد اهتم العلماء به اهتماما بالغا لأنه يحمل جانبا مهما من جوانب العقيدة الاسلامية كما أنه من أظهر الأدلة التى تستند اليها الشيعة فى حصر الامامية فى أهل البيت وفى عصمتهم من الأخطاء والأهواء أن النبى صلى الله عليه وسلم قرنهم بكتاب الله العزيز ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فلا يفترق أحدهما عن الآخر ، ومن الطبيعى أن صدور آية مخالفة لأحكام الدين تعتبر افتراقا عن الكتاب العزيز ، وقد صرح النبى صلى الله عليه وسلم بعدم افتراقهما حتى يردا على الحوض . فدلالته على العصمة ظاهرة جلية ، وقد كرر النبى صلى الله عليه وسلم هذا الحديث فى مواقف كثيرة لأنه يهدف الى صيانة الأمة والمحافظة على استقامتها ، وعدم انحرافها فى المجالات العقائدية وغيرها ، ان تمسكت بأهل البيت ولم تتقدم عليهم ، ولم تتأخر عنهم •

ولو كان الخطأ يقع منهم لما صح الأمر بالتمسك بهم الذى هو عبارة عن جعل أقوالهم وأفعالهم حجة ، وفى أن المتمسك بهم لا يضل كما لا يضل المتمسك بالقرآن ولو وقع منهم الذنب أو الخطأ لكان المتمسك بهم يضل ، وان فى اتباعهم الهدى والنور كما فى القرآن ، ولو لم يكونوا معصومين لكان فى اتباعهم الضلال ، وفى أنهم حبل ممدود من السماء الى الأرض كالقرآن ، وهو كناية عن أنهم واسطة بين الله تعالى وبين خلقه ، وأن أقوالهم عن الله تعالى ، ولو لم يكونوا معصومين لم يكونوا كذلك ، وفى أنهم لن يفارقوا القرآن ، ولن يفارقهم مدة عمر الدنيا ولو أخطأوا أو أذنبوا لفارقوا القرآن وفارقهم ، وفى عدم جواز مفارقتهم يتقدم عليهم بجعل نفسه اماما لهم ، أو تقصير عنهم ، وائتمام بغيرهم

كما لا يجوز التقدم على القرآن بالافتاء بغير ما فيه ، أو التقصير عنه باتباع أقوال مخالفيه ، وفى عدم جواز تعليمهم ، ورد أقوالهم ، ولو كانوا يجهلون شيئا لوجب تعليمهم ولم ينه عن رد قولهم .

وقد دلت هذه الأحاديث أيضا على أن منهم من هذه صفته فى كل عصر وزمان ، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ، وأن اللطيف الخبير أخبره بذلك ، وورود الحوض كناية عن انقضاء عمر الدنيا ، فلو خلا زمان من أحدهما لم يصدق أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض .

ويتخذ أنصار أن أهل البيت هم الأئمة الاثنا عشر وأمهم الزهراء هذا الحديث ليرجحوا رأيهم قائلين : انه لا يمكن أن يراد بأهل البيت جميع بنى هاشم بل هو من العام المخصوص بمن ثبت اختصاصهم بالفضل ، والعلم ، والزهد ، والعفة ، والنزاهة ، من أئمة أهل البيت الطاهر وهم الأئمة الاثنا عشر ، وأمهم الزهراء البتول .

يدللون على ذلك بالاجماع على عدم عصمة من عداهم ، والوجدان أيضا على خلاف ذلك لأن من عداهم من بنى هاشم ، تصدر منهم الذنوب ، ويجهلون كثيرا من الأحكام ، ولا يمتازون عن غيرهم من الخلق ، فلا يمكن أن يكونوا هم المجعولين شركاء القرآن فى الأمور المذكورة بل يتعين أن يكونوا بعضهم لا كلهم وليس الا من ذكرنا .

جد السيدة نفيسة زعيم أهل البيت

من مكة الى المدينة :

ونشأت السيدة نفيسة رضى الله عنها نشأة نبوية فانها بعد أن درجت بمكة تحوطها العزة والكرامة استصحبها أبوها وقد أوفت الخامسة من عمرها الى المدينة المنورة وعاشت معه بداءة وأخذ يلقنها ما تحتاج اليه من أمور دينها ودنياها وكانت تذهب الى المسجد النبوى تسمع من شيوخه وتتلقى الحديث والفقه من علمائه وعاشت فى مدرسة أبيها المحمدية تسمع منه تاريخ دينها وتاريخ أسرتها ، ومن بين الذين التقت بهم السيدة نفيسة فى المدينة الامام مالك الذى كان حديث الفقهاء

والمسلمين جميعا بكتابه الموطأ وفقهه الذى انتشر فى كل الأمصار ، ووجدت السيدة كريمة الدارين فى هذه الأجواء الرائعة مبتغاها وقرأت الموطأ وناقشت كل القضايا الدينية وبدأت تزداد معرفة كاملة والناس من حولها بمافيهم الامام معجبون بهذهالسيدة الطاهرة يسمعون آراءها فى كل ما يتدارسون من فقه وسيرة وحديث •

اسحاق المؤتمن :

وبلغت كريمة الدارين سن الزواج فرغب فيها شباب آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى الحسن وبنى الحسين رضى الله عنهم؛ كما تهافت على خطبتها الكثير من شباب أشراف قريش ، لما عرفوه من خيرها وبرها ودينها وايمانها وصلاحها وتقواها وما نشأت عليها من عبادة ربها واقبالها على طلب العلم حتى ضربت فيه بسهم وافر ، الى ماحباها به الله عز وجل من حسن بارع وجمال رائع وما امتازت به من سرى الأخلاق وكريم المناقب وحميد الشمائل ، فقد برأها الله من معدن العتق ونبيل الشيم ، فكان أبوها يأبى عليهم اجابة طلبهم ويردهم ردا جميلا ، الى أن أتاه اسحاق المؤتمن بن جعفر الصادق رضى الله عنهما ، وكانت دار الحسن قبالة دار جعفر الصادق ، فخطبها من أبيها فلم يرد عليه جوابا ، فقام اسحاق من عند الحسن ، وفى نفسه ما فيها ، وذهب توا الى المسجد النبوى ودخل الحجرة الشريفة ، ووقف تجاه القبر فى خشوع واجلال •

فقال : يا رسول الله ، انى خطبت نفيسة بنت الحسن من أبيها فلم يرد على جوابا ، وانى لم أخطبها الا لخيرها ودينها وعبادتها •

ثم انصرف ، وقد انشرح صدره واطمأنت نفسه : ففى تلك الليلة رأى أبوها الحسن جده المصطفى صلى الله عليه وسلم فى النوم ، وهو يقول له : « يا حسن زوج نفيسة من اسحاق المؤتمن » فما أفاق من نومه حتى بعث الى اسحاق يستدعيه اليه ، فسارع اليه وما أن جلس بين يدى الحسن حتى أخبره برؤياه ، وما لبث أن عقد له على ابنته فى حفل جمع جمهرة من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجماعة من أشراف قريش ، وكان ذلك فى سنة احدى وستين ومائة ، وبعد أن جهزها أبوها

وجليت لزوجها بنى عليها فى دار أبيه جعفر الصادق بالمدينة وهى الدار التى كان يسقى فيها الماء الذى تصدق به جعفر رضى الله عنه ، وكانت تلك الدار قبلا لحارثة بن النعمان الأنصارى الخزرجى • ثم من بنى النجار ، وكان من فضلاء صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فسمعت قراءة ، فقلت : من هذا ؟ فقيل : حارثة بن النعمان ، فقال صلى الله عليه وسلم : كذلكم البر ، وكان برا بأمه ، وكان قد ذهب بصره فاتخذ خيطا فى مصلاه الى باب حجرته ، فكان اذا جاءه مسكين أخذ من مكتله شيئا ثم أخذ بطرف الخيط حتى يناوله ، فكان أهله يقولون له نحن نكفيك ، فيقول : انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : مناولة المسكين تقى مصارع السوء ، وكان قبالة تلك الدار فى الغرب دار الحسن بن زيد ، وهو أطم كان الحسن قد ابتاعه فخاصمه فيه أبو عوف النجارى فهدمه حسن فجعله دارا مشيدة البنيان عالية الأركان تحوطها الكرامة ويرفرف عليها الشرف والجـــلالة •

وبزواج السيد اسحاق من السيدة نفيسة اجتمع فى بيتها نوران ، نور الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، فالسيدة نفيسة جدها الامام الحسن والسيد اسحق جده الامام الحسين ، لأن اسحق المؤتمن هو ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن أبو الشهداء الامام الحسين عليه السلام وأمه حميدة البربرية وهى أم اخوته موسى والامام ومحمد وفاطمة الكبرى رضى الله عنهم •

وكان اسحق من أهل الفضل والاجتهاد والورع والصلاح روى عنه الكثير من الناس الحديث والآثار ، وكان ابن كاسب يعقوب بن حميد ابن كاسب المدنى وينسب الى جده اذا ما حدث عن اسحاق يقول : حدثنى الثقة الرضا اسحاق بن جعفر وناهيك بابن كاسب ، فقد كان محدثا ثقة مأمونا صـــادقا •

قال القاسم بن عبد الله بن مهدى : قلت لأبى مصعب بمن توصينى بمكة وعمن أكتب ؟ فقال عليك بشيخنا أبى يوسف يعقوب بن حميد ، وانما يعرف الفضل من الناس ذووه ، وكان اسحاق وفيا لاخوته ، وكان من الفضل والورع ما لا يختلف فيه اثنـــان •

وفى عمدة الطالب : وأما اسحاق بن جعفر الصادق ويكنى أبا محمد ويلقب بالمؤتمن فقد ولد بالعريض ، وهو واد بالمدينة ، وكان من أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان محدثا جليلا وادعت فيه طائفة من الشيعة الامامة ، وكان سفيان بن عيينة شيخ الامام الشافعى رضى الله عنهما اذا ما روى عنه يقول : حدثنى الثقة الرضا اسحاق بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين رضى الله عنهم • وهو أقل المعقبين من ولد جعفر الصادق عددا اذ أعقب ثلاثة رجال : محمدا والحسن والحسين وتعرف ذريته بالاسحاقيين •

ويقول المقريزى فى خططه : وتزوج بنفيسة رضى الله عنهما اسحاق ابن جعفر الصادق رضى الله عنهما ، وكان يقال له اسحاق المؤتمن ، وكان من أهل الصلاح والخير والفضل والدين ، روى عنه الحديث ، وكان ابن كاسب اذا حدث عنه يقول : حدثنى الثقة الرضا اسحاق بن جعفر ، وكان له عقب بمصر منهم بنو الرقى وبحلب بنو زهرة •

وولدت نفيسة من اسحاق ولدين هما القاسم وأم كلثوم •

وفى تهذيب التهذيب : اسحاق بن جعفر روى عن كثير بن عبد الله ابن عمرو بن عوف ، وعبد الله بن جعفر المخزومى ، وصالح بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر وغيرهم ، وروى عنه ابراهيم بن المنذر ، ويعقوب بن حميد بن كاسب ويعقوب بن محمد الزهرى وغيرهم •

قدم مصر وهو زوج السيدة نفيسة بنت الحسن الأنور رضى الله عنهم ، وقد ذكر فى لسان الميزان : أنه كان يقال له الجزين لأنه لم ير ضاحكا •

وفى مشتركات الطوبجى : انه الممدوح بروايته عن أبيه ، وقد مكث بعد وفاة السيدة نفيسة رضى الله عنها زمنا ليس بالكثير ، ثم توفى ودفن بمصر ، وقيل : انه رحل وولداه القاسم وأم كلثوم الى المدينة وتوفى بها وهو الأصح •

نفيسة العلم :

فى بيت كريم وبين أسرة طهرها الله سبحانه وتعالى تطهيرا وأذهب عنها الرجس فتحت السيدة كريمة الدارين عينها ووعت أذنيها كتاب الله العظيم ، ولا شك أن الجو الذى كان يحيطها شجعها على ذلك ، فأب صالح وأم عابدة يعبدان الله سبحانه وتعالى ليل نهار فكان طبيعيا أن تقلدها ولعلها سمعت من أبيها تاريخ جديها الامامين الحسن والحسين وأمهما الزهراء وأبيهما أمير المؤمنين وما اقتبسوا جميعا من رسول الله من أنوار ، وما أخذوا عنه من شتى الفضائل والمكرمات •

ولعل والدها تنبأ لها بأنها سيكون لها شأن عظيم بين الصـــالحين والصالحات فقد بدأت فى سن مبكرة فى تلاوة القرآن الكريم بمفردها ، ثم عملت على حفظــه حتى تم لها ذلك فى خلال سنة واحـــدة فقط ، أما العبادات المفروضة فقد أثر عنها رضى الله عنها أنها كانت تؤدى الصلوات الخمس بانتظام مع والديها فى المســجد الحرام وهى فى السادسة من عمرها •

ونشأت كذلك آية من آيات الله تعالى فى قوة الذاكرة والحافظة ، صفاء نفس ونقاء حدس ، فكان طبيعيا أن تتجه بكل قواها الى كتاب الله الكريم فألمت بتفسيره وتأويله فاستجلت غوامضه وخاضت عبابه •

وأخذت وهى تنمو جسما وعقلا وروحا وتقوم الليل وتصوم النهـــار وتمعن فى العبادة والدراسة ، فاتجهت بكل روحها الى دراسة حديث جدها فروت منه عن أبيها وآل بيتها وعلماء عصرها وأخذت بحظ وافر من الفقه والعلم ، ومن هنا جاء اللقب الذى اشتهرت به «نفيسة العلم» •

شغفت بحديث جدها المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وروت من الحديث والآثار الكثير من أبيها وآل بيتها وعلماء عصرها ، وبخاصة الامام مالك بن أنس رضى الله عنه بالمدينة ، وكان من عادته أن يتصدر مجالس العلم وفى يمينه موطؤه وحوله العلماء وطلاب العلم وفدوا عليه من سائر الاقطار الاسلامية ، ينشر الامام مالك العلم فى أرجاء المدينة ، من أرجائها ينساب الى آفاق العالم المتعطش له ، وكانت أحاديث الامام مالك علنية ،

وكانت اصداؤها لتصل الى السيدة نفيسة فتأخذ ما تضيفه الى ما جاءت به من مكة من سائر علوم القرآن والحديث وقد سمع عنها الحديث كثير من علماء مصر والراحلين اليها •

وقد كان ابن خلكان يروى أن الامام الشافعى رضى الله عنه لما دخل مصر حضر اليها وسمع عليها الحديث •

وقالت زينب بنت يحيى المتوج ، وهو أخو السيدة نفيسة رضى الله عنهم : « كانت عمتى نفيسة تحفظ القرآن وتفسيره ، وكانت تقرأ القرآن وتبكى ، وتقول : الهى وسيدى يسر لى زيارة خليلك ابراهيم عليه السلام » لأنها كانت تعلم أنه أبو الأنبياء ، أى أنه أبو أبيها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاتم الأنبياء ، وأنه له بشارة كما ورد فى الأثر واذن فهو أبوها وجدها ، وكانت تعرف أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال : « أنا دعوة ابراهيم عليه السلام حيث يقول : (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم) » •

وحين بلغت المزار ووقفت بين يدى جدث خليل الله قالت :

« ما ان بلغت المقام الكريم والضريح العظيم حتى أجهشت بالبكاء ، بكاء السرور لتحقيق أمنيتى فى زيارة الخليل ، ثم جلست فى خشوع أقرأ من آيات الله ما ورد فى خليل الله » •

وقرأت : (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام ، رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ، ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ، ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن وما يخفى على الله من شىء فى الأرض ولا فى السماء ، الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحاق ان ربى لسميع الدعاء ، رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء ، ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ، ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل

الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعى رءوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء . وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال . وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال ، وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال ، فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام ، يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار ، وترى المجرمين يومئذ مقرنين فى الأصفاد ، سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ، ليجزى الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب ، هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو اله واحد وليذكر أولوا الألباب) .

وتقول السيدة كريمة الدارين :

ولما كانت قراءتى فى تدبر وتفكر وخشوع وخضوع أحسست حينئذ احساسا يقرب من المادية أن الخليل أمامى وحينئذ خفق قلبى وخشع بصرى ، وقلت :

« يا جدى الأكبر جئت اليك بجسدى وروحى وقد جاءت روحى من قبلى ، فهل أحظى برضاك وصالح دعاك وتوجيهاتك الشريفة لى حتى أتعبد لآخر لحظة فى حياتى » وحينئذ سمعت صوتا مجلجلا يقول :

« يا ابنتى يا نفيسة أبشرى فانك من الصالحات القانتات ، وانك باذن الله موفقة ، الا أننى أوصيك بأن تقرئى سورة المزمل حيث يقول الله سبحانه وتعالى (يا أيها المزمل ، قم الليل الا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا ، أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا ، انا سنلقى عليك قولا ثقيلا ، ان ناشئة الليل هى أشد وطئا وأقوم قيلا ، ان لك فى النهار سبحا طويلا ، واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا ، وذرنى والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا ....) الى آخر الآية الكريمة .

وتتدبرى معناها وستعلمين طرق العبادة التى لا مشقة فيها لأن الله

لا يكلف نفسا الا وسعها ، وأنت يا ابنتى تتعبدين الى درجة الارهاق الذى يضنى جسدك ، ومع ذلك تتحاملين على نفسك وتغرقين فى العبادة •

يا ابنتى اقرئى قول الله تعالى لرسوله الكريم : (ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار •••) الى آخر سورة المزمل •

وقد جعل الله العبادة فى الليل اختيارية بعد أن كانت اجبارية لأن الله يعلم أن من عباده من يجاهد فى سبيل الله ويسعى لنيل رزقه ، ولا بد له من الراحة ليقوم بعمله •

هذا والجهاد عبادة ، والسعى فى سبيل الرزق عبادة ، وادارة شئون المنازل للسيدات عبادة ، اذكرى ذلك وارحمى نفسك واعطيها قسطها من الراحة لتقوى على العبادة من غير ارهاق مؤلم ، واعلمى أنك موفقة ، وأنك مباركة ، وأنك فى الصف الأول بين الصالحين والصالحات ، وكونى فى جميع خطواتك القدوة الحسنة لغيرك ليقتدى به من أراد الله له الخير والسعادة » •

وحينئذ قلت : يا جدى العظيم ، يا جدى الأكبر ، سأنفذ هذه التوجيهات ، وأرجو من روحك الطاهرة أن تهب روحى صفاء حتى أبلغ ما أتمناه لنفسى من القربى الى الله تعالى حتى ألقاه وهو عنى راض وهذه هى أمنيتى التى لا أمنية بعدها » •

فقال : « يا ابنتى أبشرى فان الله قد استجاب دعواتك ، ولن أنساك حتى نلتقى فى عالم الروح ، فى عالم الخالدين ثم بين يدى الله رب العالمين يوم تجزى كل نفس ما عملت والعاقبة للمتقين » •

وحجت كريمة الدارين هى وزوجها اسحاق المؤتمن ، وزارت قبر خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام ، وكما قلت حجت فى حياتها المباركة ثلاثين مرة أكثرها ماشية على قدميها ، وكان القدوة لها فى ذلك جدها الامام الحسن الذى كان يقول : « انى لأستحى من ربى أن ألقاه ولم أمش الى بيته •

وقالت زينب بنت يحيى[1] المتوج : « خدمت عمتى السيدة نفيسة أربعين سنة فما رأيتها نامت بليل ولا أفطرت بنهار ، الا العيدين وأيام التشريق .

فقلت لها : أما ترفقين بنفسك ؟

فقالت : « كيف أرفق بنفسى وأمامى عقبات لا يقطعهن الا الفائزون؟» .

وكانت تقول : كانت عمتى تحفظ القرآن وتفسيره ، وكانت تقرأ القرآن وتبكى .

وقد سمع منها الحديث وتفسيره والفقه كثير ممن قابلوها ، فقد سمع منها بمصر غير الامام الشافعى جمهور كبير من العلماء كذى النون المصرى ، وعبد الله بن الحكم ، وولداه محمد وعبد الرحمن ، وعبد الرحمن البويطى ، والربيعان المرادى والجيزى ، وحرملة من أصحاب الامام الشافعى رضى الله عنهم وكثيرون غيرهم استفادوا مما أفاضه الله عليها من فيوضات مما سيأتى بيانه بعد قليل ، وما روته من أحاديث وآثار وفقه وعلم ومعارف نبوية ، فانها رضى الله عنها من أهل البيت اتقوا الله فعلمهم الله ، وأنار قلوبهم بنور عرفانه فكانوا من حملة العلم وحضنته ومن ذوى الفقه والدين والمعرفة واليقين .

وكانت السيدة الورعة زاهدة فى دنياها تؤمن بمنهج الزهد وتمارسه ، وكان رائدها فى طريق الزهد جدها الأعظم رسول الله صلى الله عليه

---

(١) يحيى أخوها دفن بمصر ، وليس لأخيها يحيى سوى زينب التى صحبت عمتها طوال حياتها ، وقد عافت الدنيا وزهدتها فلم تتزوج ، وكان يرى على قبر يحيى نور ، قال أبو الذاكر : دخلت الى قبر يحيى فلم أحسن الأدب فسمعت من قبره من يقول : (قل انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) .

وليس بمصر من اخوتها سواه ومشهده معروف باجابة الدعاء ، وقد دفنت زينب بنت يحيى المتوج رضى الله عنهما بجوار قبر عمرو بن العاص رضى الله عنه ، وكان أهل مصر يأتون لزيارة قبرها من كل فج ، وكان الظاهر الخليفة الفاطمى يأتى الى زيارتها ماشيا ، وكان أهل مصر يجيئون الى قبرها يستسقون وكان النيل قد توقف فاستسقى أهل مصر بها وجأروا الى ربهم فجرى النيل باذن الله تعالى .

وسلم الذى أحاطت بسيرته ، وكان مرشدها هو ما قال الرسول وما فعل ، وقد مالت بطبعها منذ صغرها الى حياة بعيدة عن زخرف الحياة وزينتها بالرغم من أن أباها كان أميرا للمدينة وكان بلا شك يعيش عيشة رغدة ولكنها ما كانت تستشرف الى لذائذ الدنيا وشهواتها •

وفى بيت أبيها نشأت بالرغم ما يحاط بهـا من مظاهر الترف نشأة الزهادة والتقشف فمثلا كانت قليلة الأكل ويروى أنها كانت تأكل كل ثلاثة أيام مرة • وكانت لها سلة معلقة أمام مصلاها ، فكانت كلما اشتهت شيئا وجدته فى السلة •

وتقول زينب بنت يحيى : « كنت أجد عندها ما لا يخطر بخاطرى ولا أعلم من يأتى به فعجبت من ذلك ، فقالت يا زينب من استقام مع الله تعالى كان الكون بيده وفى استطاعته » •

وكانت تمضى أكثر وقتها فى معبدها أو حرم جدها المصطفى صلى الله عليه وسلم على أنه يقال أنها رضى الله عنها لم تكن سلبية فى زهدها تقاطع الحياة مقاطعة تامة كما يفعل بعض الزهاد انما كان هجرها للدنيا واقعا على كل ما يعوقها عن الله وطاعته ومرضاته ويعوقها عن العمـل لآخرتها والتزود لها •

كانت الآخرة وكان الموت نصب عينها والدليل على ذلك حفرها قبرها بيدها وقضاؤها شطرا من وقتها كل يوم تستلهم منه العظات وتستوحى الصالحات •

وهى بعد ذلك زوجة مخلصة لم يشغلها أى أمر عن مسئوليتها كزوجة وحتى يفاخر بها المؤتمن الدنيا ويذكر للناس من حوله أنه قد وجد فيها نعمة الله عليه فلم تقصر فى حق له أبدا ولم يشغلها أى أمر عن حقوقه وواجباته •

وهى أم ترعى الله فى زوجها وولدها تغدق بالحنان ولديها أبا القاسم وأم كلثوم ترعاهما وتؤدبهما حتى يصيرا نموذجا صالحا بشرف الانتساب الى بيت النبوة •

وهى ربة بيت تشرف عليه .

وهى محبة للعلم والمعرفة حبا جعلها بحق نفيسة العلم .

وتجتمع بذوى الحاجات من النـاس وتستمع اليهم ، ولهذا شاهد مسكنها فى المدينة وفود الزوار من كل بلد اسلامى خصوصا من القادمين فى مواسم الحج والراغبين فى العـلم ، وقـد كان أكثر هؤلاء الوفود وأشدهم حرصا على لقائها كانوا من مصر .

وضاقت دارها بالزائرين كما حدث لهـا تماما فى مصر عندما طلبت الرحيل الى الحجاز عند أهلها بسبب ازدحام منزلها بالقاصدين اليها كما سيأتى تفصيل ذلك فيما بعد .

فزهد السيدة نفيسة ايجابيا نافعا كما كان زهد الرسول ايجابيا مثاليا فى ايجابيته .

ويقول الامام أحمد بن حنبل : الزهد على ثلاثة أوجه :

١ — ترك الحرام وهو زهد العوام .

٢ — ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص .

٣ — وترك ما يشغل العبد عن الله — وهو زهد العارفين .

وهو زهد السيدة كريمة أهل الدارين شعارها الله أولا ، والمجتمع ثانيا لله صلاتها ونسكها ولله محياها ولله مماتها .

أخلاقها :

كانت رضى الله عنها وأرضاها كريمة الخليقـة شريفة الطبع غراء المكرمات زهراء المأثرات . فقد صاغها الله من معدن كريم وأنبتها نباتا حسنا ، فجمعت خلال الفتوة والمروءة فكانت معطاءة فياحة فياضة نفاحة جمة المبرات كثيرة الصلات ، وهى مع هذا زاهدة متقشفة .

أما ما برأها الله عليه من عزة نفس وحمى انف تربأ بنفسها عن مواطن الذل والابتذال وتتصاون عن الامتهان والهوان ، وهى مع هذا لا يذهب بنفسها زهو وكبرياء ولا يخالطها تيه وعجب . بل كانت متواضعة النفس متطامنة الجانب .

سلاسة طبع وسجاحة خلق ــ وبالاجمال فأخلاقها مقتبسة من أخلاق جدها المصطفى صلى الله عليه وسلم وانه لعلى خلق عظيم .

وكانت المثل الأعلى فى الوفاء لزوجها على وجه الخصوص وعرفان حقوقه والقيام بواجباته وقد ساهمته الاخلاص والود وقد عرف فيها هذا الخلق النبيل فكان مثال الطاعة لها فيما تسلكه وتنحيه ؛ فما خالف لها أمرا ولا وقف لها فى سبيل رغبة بل كان يهيىء لها ما تبتغيه ويسهل لها ما تريده ولم يبخل عليها بشىء من ماله .

وكانت عطوفة على أسرتها ، فهاهى تلك بنت أخيها زينب ، وقد لمست فى عمتها العطف فتمادت فى خدماتها ونسيت نفسها فى ســبيل عمتها فلازمتها وأصبحت كظلها وعافت الزواج لتنفرد بخدمتها وتسهر على راحتها وتقضى لها حاجتها ، وما رحلة عمتها نفيسة بنت زيد الى مصر الا شوقا لبنت أخيها ، وكان برها لخادمتها جوهرة ومعاملتها لها أحسن معاملة فأشرب فى قلبها حبها والاخلاص اليها الى ما عرف عنها من ايثار ذويها وبرهم مما جعلها تملك قلوبهم .

وكانت كثيرة الخير والبر تواسى البائسين وتسعف الملهوفين وتفرج كرب المكروبين وكان لها مال كثير الى مال زوجها تحسن من كل أولئك الى المرضى والمحتاجين والناس عامة فما كانت ترد سائلا ولا تمنع مستجديا وكانت تتعرف من به حاجة فتقضى حاجته .

سخية لكل من يتصل بها ندية لكل من يلوذ بها ويحوم حول رحابها .

وهب لها أحد الأمراء مائة ألف درهم وقال : خذى هذا المال شكرا لله تعالى لتوبتى فأخذته وصرته صررا بين يديها وفرقت الصرر عن آخرها ، وكان عندها بعض النساء ، فقالت لها يا سيدتى ، لو تركت لنا شيئا من هذه الدراهم لنشترى به شيئا فنفطر عليه .

فقالت لها : « خذى غزلا غزلته بيدى فبيعيه بما تشترى به طعاما نفطر عليه » فذهبت المرأة وباعت الغزل وجاءت بما أفطرت به هى واياها ولم تأخذ من المال شيئا فهى الجوادة بنت الجواد وهى من قوم يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة •

وكانت رضى الله عنها عيوفة عزوفة ، فما عرف عنها أنها مدت يدها لمخلوق وما كانت تأخذ شيئا مما كان يأتى اليها من منح الأمراء والعظماء بل انها كانت تبعث به الى ذوى الحاجات سخاء نفس وعزة فطرة وما كانت تنفق على نفسها وأفراد بيتهـا الا ما كان من مالهـا أو مال زوجهـا أو ما يأتيها مما تغزله بيدها ، وكانت لا تأكل طعاما لغير زوجها •

وهذا أمير مصر السرى بن الحكم فقد ألح عليها الحاحا شديدا فى أن تنزل فى دار له نزل عنها لها فبعد لأى وجهد قبلت أن تنزل فى تلك الدار التى وهبها اليها ، وقد سره قبولها وحمد الله تعالى على ذلك فهى من آل بيت لا يرضى ذووه أن يكون لأحـد غير الله تعالى له عليهم نعمة ولا منة شمما واباء نفس •

وهذا هو الأمير الذى بعث اليها بمائة ألف درهم فلم تشأ أن تبيتها أو تدخرها بل وزعتها دون أن تبقى لها منها درهما •

وكانت السيدة نفيسة رضى الله عنها كثيرة البر والمواساة عطوفة رحيمة تحنو على القوم وتتحد بهم فتؤويهم الى ظل رحمتها وتمهد لهم مهاد رأفتهـا •

ولم يكن عطفها على ذوى قرباها بأقل أثرا من ذلك فكثيرا ما نالهم برها وشملهم خيرها • فهذه بنت أخيها السيدة زينب قد لاقت من عمتها من الحنان والرأفة والاحسان ما جعلها تخلص الود اليها وتتفانى فى خدمتها وتقوم لها بما تحتاجه من أمورها فان عمتها ملكت قلبها ببرها وعطفها حتى وفت لها أربعين سنة تنشط لخدمتها وتسهر على حاجتها دون سأم أو ملل •

وكذلك أخلصت لها خادمتها جوهرة لمـا لمسته من عطف وحنان فعاشت

فى كنفها مسرورة تفديها بنفسها وتسارع الى تلبية ندائها وقضاء حاجتها. وهؤلاء جيرانها وقد عرفوا برها وعطفها فكانوا يودونها ويثقون بها حتى أولئك الذين كانوا يخالفونها فى دينها فهذه جارتها اليهودية لم تأمن على وحيدتها غير الشريفة السيدة نفيسة بالرغم من وجود جمهرة من اليهود أبناء شيعتها يجاورونها ، غير أنها لم تر فيهم أحدا موضع ثقتها فتودع عنده فلذة كبدها الى أن تعود من حمامها فلم تجد غير تلك الأمينة العطوفة ، فتركتها عندها فنالت من بركتها مما سيأتى فى حينه .

فالبر والعطف آيتان محببتان بهما تملك القلوب وتؤسر الأفئدة الى ما رأيناه من اقبال الناس عليها فوق ما لمسوه من بركاتها وما عرفوه من نفحاتها .

من بلد الرسول الى القاهرة :

ولدت السيدة نفيسة بمكة ثم انتقلت الى المدينة بصحبة أبيها ولبثت بالمدينة الى أن روعت بحبس المنصور لأبيها من سنة ١٥٦ الى سنة ١٥٩ حين أخرجه المهدى من حبسه ورد عليه ماله واستمرت فى المدينة وعاشت فى ظل أبيها قريرة مسرورة الى أن تزوجها اسحق المؤتمن وبنى عليها فى بيت أبيه بالمدينة فعاشت ردحا من الزمن فكانت تشوق لزيارة قبر أبيها الخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، ثم زارت بغوطة بدمشق ، مقام السيدة زينب بنت أم كلثوم بنت على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، ثم زارت قبر عمتها فاطمة بنت الحسن بن على رضى الله عنهم اذ أنها مدفونة بمغارة وعند قبرها رخامة مكتوب عليها :

أسكنت من كان فى الأحشاء مسكنه   بالرغم منى بين التراب والحجر

افديك فاطمة بنت ابن فاطمة   بنت الأمة بنت الأنجم الزهر

وزارت قبر فضة جارية جدتها فاطمة الزهراء رضى الله عنها وغير أولئك .

وفى دمشق استقبلها جمهور كبير من العلماء هرعوا للتسليم عليها والتماس دعائها وبركتها وفى مقدمتهم الشيخ الكبير العارف بالله أبو سلمان الدارانى وكان رجلا صالحا زاهدا وله كلام رفيع فى التصوف

والوعظ ، ومحدث الشام أبو العباس الوليد بن مسلم الدمشقى ، وكان أماما حافظا والامام أبو بكر الدمشقى مروان بن محمد الطاطرى وكان صالحا خاشعا عابدا وغير أولئك من علماء الشام ومحدثيه وصلحائه يرجون منها دعاءها ويلتمسون بركتها ويسمعون عنها ما تحدث به من حديث جدها المصطفى صلى الله عليه وسلم •

وفى يوم السبت الموافق ٢٦ رمضان ١٩٣ هـ وصلت السـيدة كريمة الدارين الى مصر قبل أن يقدم اليها الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه بخمس سنين ، وكان ذلك فى ولاية الحسن بن البحباح والى مصر من قبل الرشيد •

وفى العريش استقبل أهل مصر السيدة نفيسة رضى الله عنها أحسن استقبال فقد أحبها الشعب المصرى قبل قدومها اليه سمع عن أنبائها بالمدينة بلد الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتلقتها النساء والرجال بالهوادج والخيول مرحبين يهللون ويكبرون ولم يزالوا معها الى أن دخلت مصر فأنزلها عنـده كبير التجار بمصر جمـال الدين عبد الله الجصاص ، وكان من أهل الصلاح ومن أصحاب المعروف والبر والصدقة والمحبة فى الصالحين والعلماء والسادة الأشراف فنزلت عنده فى داره معززة مكرمة مبجلة فأقامت بها عدة شهور ، والناس يفدون اليها زرافات ووحدانا من سائر مدن القطر ومن جميع الآفاق يتلمسون بركتها ويرجون دعاءها ويرون فى اشراقتها اشراقة بيت النبوة وعترة المصطفى صلى الله عليه وسـلم •

وكانت سيدة من المصريين تسمى بأم هانىء لها دار رحيبة بجهة المراغة والقبر الطويل بالمصاصة أو المنصوصة فرجت من السيدة نفيسة النزول فى دارها وكانت امرأة ورعة تقية صالحة فقبلت السيدة نفيسة وانتقلت الى تلك الدار فلم تنقطع عنها الزوار وانهال عليها الناس من كل حدب وصوب من طلاب الحاجات وراغبى الدعوات وملتمسى النفحات والبركات ويعودون جميعا وقد استجاب الله دعاءها وقضى لهم حاجتهم وكشف كروبهم •

وقد كان يجاور بيت أم هانىء رجل من اليهود يقال له أبو السرايا

أيوب بن صابر وله بنت مقعدة وفى يوم من الأيام توجهت بها أمها الى السيدة نفيسة واستأذنتها فى بقائها فى حماها الى أن تعود من حمامها فتركتها فى ردهة الدار ومضت الى الحمام حتى اذا جاء وقت صلاة الظهر نهضت السيدة نفيسة لوضوئها والبنت القعيدة ترقبها وتستشرف **الى ما تصنعه السيدة . وكان ماء الوضوء يجرى فى مجرى بالردهة الى بئر تحت عتبة الدار فألهم الله عز وجل البنت الى أن تزحف من مكان قعدتها وتصل الى ذلك المجرى زاحفة فأخذت فى تقليد السيدة فيما تفعله من غسل وجهها ويديها ورجليها وما أن غسلت رجليها من ذلك الماء الذى يسيل فى المجرى من فضل وضوء السيدة حتى كأنما نشطت من** عقالها وزال عنها كساحها وشفاها الله سبحانه وتعالى مما بها فنهضت قائمة مسرعة فى الخــروج الى الدرب خــارج الدار تلعب مع لداتها والسيدة فى شغل عنها بعبادتها وصلاتها فلما حضرت أم البنت اذ بهــا تجدها وقد زال عنها ما أقعدها وهى قائمة على قدميها كأنه لم يكن بهــا شىء فاحتضنتها وهى نشوانة مأخوذة مما رأت شفاء بنتها وعافيتهــا فسألتها عن أمرها فأخبرتها بجلية الأمر وما كان من غسلها رجليها من فضل ماء الوضوء فبكت الأم بكاء شديدا ، وقالت لا ريب فى أن دين تلك السيدة الشريفة هو الدين الصحيح ، ودخلت على السيدة فى خشوع وخضوع واجلال واحترام .

ووقفت بين يديها تحييها ثم نطقت بالشــهادتين وأخلصت لله رب العالمين وشكرت للسيدة صنيعها وجميلها وحمدت الله عز وجل على أن أخرجها من الظلمات الى النور وأنقذها من الضلال الى الهدى .

ولمــا حضر والد البنت وكان من كبار قومه وسراة عشيرته ورأى وحيدته وقد تعافت فصح جسمها واستقام عودها وذهبت شكاتها فأخذته الأريحية واستطاره الفرح فأخذ يصفق ويرقص ولم يلبث أن نبأته أمها بخبرها وما حاطها من بركة السيدة الشريفة جارتهم ، فما أن أنهت زوجه من أخباره حتى رفع بصره ومد يده الى السماء . وقال سبحانك ربنا تهدى من تشاء وتضل من تشاء اللهم انى أشهدك ان هذا الدين هو الدين الصحيح وأن الدين عند الله الاسلام وأنه لا دين غير الاسلام . ثم توجه من فوره الى دار السيدة نفيسة وأستأذنها فى الدخول فأذنت له فكلمها وهى من وراء حجاب وبعد أن حياها وشكر لها صنيعها .

قال : سيدتى ارحمينى وتشفعى لى واشفعى فيمن هو فى ضلال الكفر قد تاه • ومن الدين الحق أبعده الكفر وأقصاه •

فرفعت السيدة نفيسة بطرفها الى السـماء • ودعت الله عز وجل له بالهداية •

فما أن انتهت من دعائها حتى نطق أبو السرايا بالشهادتين ، وسرى الخبر فى تلك الجهة فأسـلم أهلها ، وكانوا أكثر من سبعين بيتا من اليهود ، ثم استأذن أبو السرايا من السيدة نفيسة أن تنتقل الى دار له بدرب الكرويين المعروف الآن بالحسينية ، وهذه الدار باقية للآن ، وكذلك الحجرة التى كانت تتعبد فيها باقية ، وهى محل اجلال واكبار ، ولا يدخلها الا من عهد اليه بنظافتها •

وسأعود بعد قليل الى الكلام عن كرامات السيدة الصالحة ، على أنه ما كاد يذاع تلك الكرامة حتى هرع اليها القوم من جميع الجهات يلتمسون بركاتها ودعواتها فتكاثرت الجموع على بابها وضاقت بهم الدار بما رحبت ففكرت مليا فى مغادرة مصر حيث تعود ثانيا الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم لتقضى بقية عمرها فى هدوئها وعبادتها ومناجاة بارئها وتلتزم حرم جدها المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فاشتد ذلك على أهل مصر وشق عليهم أن تفارقهم وقد لمسوا نفحاتها ، وعرفوا هداها وتقواها ، وما أفاضه الله تعالى عليها من فيوضات وما يحيطه بهـا من تجليات ومشاهدات ، فالتمسوا منها العدول عن عزمها ورجوها البقاء بين ظهرانيهم فأبت عليهم طلبهم وصارحتهم بأنها تريد انفرادها لعبادة ربها ، ولايشغلها منهم شاغل ، ولما رأوا منها اصرارا على مغادرة الديار ، ولوا وجوههم نحو والى مصر السرى بن الحكم بن يوسف[1] •

---

(١) السرى بن الحكم بن يوسف مولى بنى ضبة . واصله من بلخ وقـد ولى امرة مصر باجماع الجند واهل مصر على الصلاة والخراج معا وذلك فى مستهل شهر رمضان سنة مائتين بعد عزل المطلب بن عبد الله الخزاعى عنها ، وقد سكن العسكر على عادة أمراء مصر .

وكان السرى أميرا جليلا ، معظما فى الدول وفى الأعمال وتنقل فى البلاد ، وقد توفى سنة خمس ومائتين فولى ابنه محمد امرة مصر بعد وفاة ابيه فكان على غرار ابيه الى أن توفى سنة ست ومائتين فوليها أخوه عبد الله ابن السرى ، وقد بقى فى ولايته الى أن عزله المأمون فى ربيع الأول سنة أحدى عشرة ومائتين .

وكان آل السرى يكبرون السيدة نفيسة ويعظمونها ويكثرون من زيارتها وتعهدها ويعرضون عليها خدمتهم اياها ، وما أن ذهبت جمهرة من محبيها الى السرى يخبرونه بعزمها ، ويسألونه أن يتوسل اليها فى العدول عن عزمها • فانتقل السرى اليها يستعطفها ويرجو بقاءها بمصر •

فقالت له : « انى كنت قد اعتزمت المقام عندكم ، غير أنى امرأة ضعيفة ، وقد تكاثر الناس حولى وأكثروا من زيارتى ، فشغلونى عن أورادى وجمع زادى لمعادى ، غير أن منزلى هذا يضيق بهذا الجمع الكثيف والعدد الكثير ، وقد زاد حنينى الى روضة جدى المصطفى صلى الله عليه وسلم » •

فقال لها السرى : « يا ابنة رسول الله انى كفيل بازالة ما تشكين منه ، وسأمهد لك السبيل وأهيىء لك ما فيه راحتك ورضاك ، أما ضيق المنزل فان لى دارا واسعة بدرب السباع ، وانى أشهد الله تعالى أنى قد وهبتها لك وأسألك أن تقبليها منى ولا تخجلينى بردها على » •

فقالت بعد سكوت طويل : « انى قد قبلتها منك » •

ثم قالت : « يا سرى كيف أصـنع بهذه الجمـوع الكثيرة والوفود الغفـيرة ؟ » •

فقال : « تتفقين معهم على أن يكون للزوار فى كل جمعة يومان ، وباقى الأسبوع تتفرغين لعبادتك وخدمة مولاك فاجعلى يومى السبت والأربعاء للنـاس » •

فقبلت منه ذلك وانتقلت الى داره وخصصت للزيارة يومى السبت والأربعاء من كل أسبوع •

أولياء الله وكرامتهم :

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يقول الله من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب الى عبدى بمثل أداء ما افترضته عليه ، ولايزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى

يمشى بها ، فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى ، ولئن سألنى لأعطيته ، ولئن استعاذنى لأعيذنه وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابد له منه » .

ولقد آمن أولياء الله بالله ووالوه فأحبوا ما أحب وأبغضوا ما أبغض ورضوا بما يرضى به وسخطوا على ما يسخط وأمروا بما أمر ونهوا عما نهى ، وآمنوا برسوله واتبعوا النور الذى أنزل معه ظاهرا وباطنا ، فكانت لهم كراماتهم .

والكرامة أمر خارق للعادة يكرم الله بها من يشاء من أوليائه وأصفيائه ، ويحبو بها عترة نبيه صلى الله عليه وسلم على أن تكون غير مقرونة بدعوى النبوة ، وفيها تثبيت لهم واظهار لفضل الله عليهم ونفحته لهم ولمحته بهم .

وهى جائزة عقلا اذ هى من جملة الممكنات التى لا تستحيل على القدرة الالهية ، وهى مظهر من مظاهر رضوان الله وزلفاه ، وقد عمر الله سبحانه وتعالى آل بيت نبيه صلى الله عليه وسلم بفضله ، وشملهم بفيوضاته فظهرت على أيديهم الكرامات وتتابعت منهم على الناس البركات والنفحات من اجابة الدعوات وكشف الكربات وقضاء الحاجات ، وقد اتفق علماء السنة على جوازها ، وأن الله عز وجل اختص بها من أحب من عباده وأوليائه وأصفيائه وآل بيت نبيه الطاهرين ، وعترة رسوله المباركين وآية ذلك ما ورد فى كتاب الله تعالى ، قال عز شأنه : (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون) اذ لا خوف عليهم من لحوق مكروه ولاهم يحزنون من فوات مطلوب ، فالله يتولاهم وينجز لهم طلبهم ولو كان خارقا للعادة فهم يتولونه بطاعته ويتولاهم بكرامته ونعمته .

وقال تعالى : (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ، قال يا مريم أنى لك هذا ، قالت هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) اذ كانت تأتيها فاكهة الشتاء فى الصيف ، وفاكهة الصيف فى الشتاء ، وهذا خارق للعادة ارادة لرفعة شأنها ، ولذا دعا زكريا ربه بمكانها الطاهر ليرزقه ولدا فى شيخوخته كرامة له وكرامة مريم على ربها .

وقال الله سبحانه وتعالى : (واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله

فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من أمركم مرفقا)
الى قوله تعالى : (ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا)
فما شملهم به من رعايته الى بقائهم تلك السنين الطوال فى نومهم سالمين ،
وقد خرجوا سالمين ، ذلك كله أمر خارق للعادة على أن كرامة الولى هى
آية معجزة النبى صلى الله عليه وسلم •

ولله در البوصيرى حيث يقول :

والكرامات منهم معجزات حازها من نوالك الأولياء

وفى أولياء الله يقول فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد بخيت : يقول
الله تعالى : (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين
آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل
لكلمات اللهذلك هو الفوز العظيم) ، وقال تعالى : (الله ولى الذين
آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور) ، فأنت ترى أن الله تعالى قد
بين لنا أنه سبحانه وتعالى له أولياء ، وأن هؤلاء الأولياء هم الذين
آمنوا وكانوا يتقون ، وبين حالهم فى الدنيا فقال : (لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون) أى أنهم بلغ من أمرهم فى معاملاتهم وكافة شئونهم
أن شيئا مما قدر لهم لا يفوتهم ولا يحزنون على شىء قد فاتهم لأنهم
يعلمون حق العلم أن كل ما قدره الله لهم وعلم أن يكون لهم لابد أن
يصل اليهم ، فلا يفوتهم منه شىء فهم مصدقون بالقضاء والقدر ، فان
فاته شىء مما يطلبه لا يحزن على فوته لاعتقاده أنه لم يقدر له ولو قدر
له ما فاته كما أن ما وصل اليه انما وصل بقضاء الله وقدره ، فهو واثق
بالله تمام الوثوق ، ولذلك وعدهم بأن البشرى فى الحياة الدنيا وفى
الآخرة ، ووصفهم أيضا بأنه يخرجهم من الظلمات الى النور بسبب
ايمانهم ، كما يشعر بذلك تعليق الحكم باخراجهم بالايمان الذى استفيد
من الموصول والصلة •

فالولى شرعا بمقتضى هاتين الآيتين هو من يتولى الله تعالى ويتخذه
مولى له فيؤمن به ويتقيه ويمتثل أوامره ، ويجتنب نواهيه ، ويتولاه
الله تعالى بأن يوفقه فيخرجه من ظلمات الجهل الى نور العلم ، فكل
مؤمن له قسط من الولاية على قدر قسطه من اشراق نور الايمان فى قلبه
وتقواه ، أو شرح صدره للايمان والاسلام ، واذن فكل مؤمن ولى ،

وانما تختلف درجات الولاية على حسب اختلاف درجات التقوى ، فمن المؤمنين من يتقى الخلود فى النار بأن يكون مؤمنا عاصيا ، ومنهم من يتقى دخول النار بأن يكون مؤمنا مطيعا لله فى كل أعماله مراقبا له تعالى فى سره وجهره معتقدا تمام الاعتقاد أن الله تعالى معه أينما كان ، وأنه لا يكون فى شأن ولا يعمل من عمل الا والله معه حين يفيض فى الشأن أو العمل راجيا ثواب الله تعالى خائفا من عقابه .

وقد عرف علماء الكلام الولى بأنه هو العارف بالله تعــالى وصفاته المواظب على الطاعات والمجتنب للمعاصى المعرض عن الانهماك فى اللذات والشهوات ، فهو القائم بحقوق الله وحقوق العباد حسب الامكان ، ولذلك قال عبد السلام صاحب الجوهرة فى الولى أنه هو من تولى الله تعالى أمره فلم يكله الى نفسه ولا الى غيره لحظة ، أو الذى يتولى عبادة الله تعالى وطاعته ، فعبادته تجرى على التوالى من غير أن يتخللها عصيان ، وكلا المعنيين واجب تحققه حتى يكون الولى وليا عندنا فى نفس الأمر .

وهذا الولى بالمعنى الأخص وهو المراد من قول صاحب الجوهرة :

وأثبتن للاوليــاء الكرامة   ومن نفــاها فانبذن كلامه

فهو الولى الذى تظهر على يديه الكرامة

وأما الولى بالمعنى الأعم فهو الذى يشــمل كل مؤمن ، ويتحقق فيه المعنيان متى تحقق فيه الايمان المنجى من الخلود فى النار ، سواء انضم معه الايمان والتقوى المنجيان من الدخول فى النار أم لا ، بخلاف الولى بالمعنى الأخص الذى تقدم .

وقال علماء الكلام : يجب الاعتقاد بأن للاولياء كرامة حال حياتهم فى الدنيا وبعد موتهم يوم القيامة ، والمراد أنه يجب على كل مكلف أن يعتقد الكرامة أى حقيقتها بمعنى جوازها ووقوعها لهم كما ذهب اليه جمهور أهل السنة ، ومعنى الكرامة أمر خارق للعادة ، عادة البشر غير مقرون بدعوى نبوة ، ولا هو مقدمة لها يظهرعلى يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبى كلف بشريعة الصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح ، علم بها أو لم يعلم بعدم الاقتران المذكور عن المعجزة ، فلا تلتبس بها وينفى مقدمتها عن الارهاص ، وما يظهر على يد الأنبياء قبل النبوة كتظليل الغمام لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ..) .

وأما الدليل عن جواز وقوع الكرامات للأولياء بعد مماتهم ؛ فهو مانقله الحافظ عبد العظيم المنذرى فى كتاب الترغيب والترهيب حيث قال عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : (ضرب بعض الصحابة خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر ، فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم هى المانعة ، هى المنجية من عذاب القبر) رواه الترمذى .

ويقول الحموى : « وفى هـذا دليل على وقوع الكرامة بعد الموت بتقريره صلى الله عليه وسلم حيث أقر قراءة الميت سورة الملك وقال : هى المانعة هى المنجية من عذاب القبر » .

ويقول العلامة التفتازانى : (ان ما يظهر من الخوارق بعد موت الأنبياء يكون كرامة لهم لا معجزة) .

وعلى ذلك فما يظهر من التصرفات على يد الأولياء ، ولا يخالف الدين لأن هذا التصرف الذى ينسب للأولياء هو نوع من الكرامات وهو فعل الله وخلقه يظهره الله اكراما لهم ، تارة بالهام ، وتارة بمنام ، وتارة بدعائهم ، وتارة بفعلهم واختيارهم وتارة بغير اختيار ولا قصد ولا شعور منهم ، بل قد يحصل من الصبى المميز ، وتارة بالتوسل الى الله تعالى بهم فى حياتهم وبعد مماتهم مما هو يحكى فى القدرة الالهية ، ولا يقصد الناس بسؤالهم ذلك قبل الموت وبعده نسـبتهم الى الخلق والايجـاد والاستقلال بالأفعال ، فان هذا لا يقصده مسلم ولا يخطر ببال أحد من العوام فضلا عن غيرهم ، فصرف الكلام اليه ومنعه من باب التلبيس فى الدين والتهويش على عوام الموحدين ، فلا يظن بمسلم بل ولا بعاقل توهم ذلك فضلا عن اعتقاده ، وكيف بالكفر أو بمخالفة القرآن على من اعتقد ثبوت التصرف لهم فى حياتهم وبعد مماتهم ، حيث كان مرجع ذلك كله الى قدرة الله تعالى خلقا وايجادا .

أما ما ورد فى الآثار من الكرامات ، فما ظهر عن الخلفاء الراشدين ، فان الصديق أبا بكر رضى الله عنه لمـا حملت جنازته الى باب قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، ونودى السلام عليك يا رسول الله ، هذا أبو بكر بالباب ، فاذا بهاتف يهتف من القبر : ادخلوا الحبيب الى الحبيب .

وأما أبو حفص عمر رضى الله عنه فقد ظهرت له كرامات كثيرة ، فانه قد بعث جيشا وأمر عليه رجلا يدعى سارية بن الحصين ، فبينما عمر يخطب يوم الجمعة جعل يصيح فى خطبته وهو على المنبر : يا سارية الجبل ؛ قال على كرم الله وجهه ، فكتبت تاريخ تلك الكلمة ، فقدم رسول مقدم الجيش ؛ فقـال : يا أمير المؤمنين غزونا يوم الجمعة فى وقت الخطبة ، فهزمنا الأعداء ، فاذا بصوت يقول : (يا سارية الجبل ، فأسندنا ظهورنا الى الجبل ، فهزم الله الكفار وظفرنا بالغنائم العظيمة ببركة هذا الصوت) .

ويذهب بعضهم الى أن ذلك معجزة للرسول صلى الله عليه وسلم ، اذ أنه قال لأبى بكر وعمر : « أنتما منى بمنزلة السمع والبصر » فلما كان عمر بمنزلة البصر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا جرم اذا قدر على أن يرى سارية وجيشه من ذلك البعد العظيم .

وكان من عادة المصريين ألا يجرى نيلهم حتى يلقى فيه جارية حسناء فبعد الفتح كتب عمرو بن العاص بذلك الى عمر ، فكتب عمر على خرقة : (أيها النيل ، ان كنت تجرى بأمر الله فاجر ، وان كنت تجرى بأمرك فلا حاجة بنا اليك) فألقيت تلك الخرقة فى النيل ، فجرى باذن الله تعالى ولم يقف بعد ذلك .

وجاء الى عمر رسول ملك الروم فطلب دار عمر وقد ظن أن داره مثل قصور الملوك ، فقالوا : ليس له ذلك ، وانما هو فى الصحراء يضرب اللبن ، فلما ذهب الى الصحراء رأى عمر وقد وضع درته تحت رأسه ونام على التراب ، فعجب الرسول من ذلك ، وقال : ان أهل الشرق والغرب يخافون من هذا الانسان وهو على هذه الصفة ، ثم قال فى نفسه : انى وجدته خاليا فأقتله وأخلص الناس منه فلما رفع السيف أخرج الله عز وجل من الأرض أسدين فقصداه فخاف وألقى السيف من يده وانتبه عمر ولم ير شيئا ، فسأله عن الحال فذكر له الواقعة وأسلم .

وكان لعلى مولى وقد سرق ــ وكان عبدا أسود فأتى به الى على فأقر فقطع يده فلقيه سلمان الفارسى وابن الكواء .

فقال : قطع يدى أمير المؤمنين ويعسوب المسلمين وختن الرسـول وزوج البتول • قال ابن الكواء : قطع يدك وتمدحه ؟

فقال : ولم لا أمدحه وقد قطع يدى بحق وخلصنى من النار •

فأخبر سلمان عليا بذلك ، فدعا الأسود ووضع يده على ساعده وغطاه بمنديل ودعا بدعوات ، فاذا بصوت من السماء : أن ارفع المنديل عن اليد ، فرفعناه فاذا اليد قد برأت باذن الله تعالى وجميل صنعه •

ولمـا طعن الخليفة سيدنا عثمان رضى الله عنه كانت أول قطرة من دمه وقعت على المصحف على قوله تعالى : (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) •

أما سائر الصحابة فأحوالهم فى هذا الباب كثيرة ، وقد اكتفينا بهذا القدر وثمت دلائل عقلية وقطعية على جواز الكرامات من وجوه :

أولا : أن العبد ولى الله تعالى ، قال الله تعالى : (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ، والرب ولى العبد ، قال عز وجل : (الله ولى الذين آمنوا) فثبت أن الرب ولى العبد ، وأن العبد ولى الرب ، وأيضا الرب حبيب العبد ، والعبد حبيب الرب ، قال الله تعالى : (يحبهم ويحبونه) وقال : (والذين آمنوا أشد حبا لله) ، وقال ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ، واذا ثبت هذا فنقول : ان العبد اذا بلغ فى الطاعة الى حيث يفعل كل ما أمره الله ، وكل ما فيه رضاه ، وترك كل ما نهى الله وزجر عنه فكيف يبعد أن يفعل الرب الرحيم الكريم مرة واحدة ما يريده العبد بل هو أولى لأن العبد مع ضعفه وعجزه لما فعل كل ما يريده الله ويأمر به فلأن يفعل الرب الرحيم القدير به مرة واحدة ما أراده العبد كان أولى : ولهذا قال الله تعالى : (وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم) •

ثانيا : على أنه لو امتنع اظهار الكرامة ، لكان ذلك اما لأن الله تعالى ليس أهلا لأن يفعل مثل هذا الفعل أو لأن المؤمن ليس أهلا لأن يعطيه الله مثل هذه العطية ، والأول قدح فى قدرة الله تعالى وهو كفر ، والثانى باطل ، فان معرفة ذات الله وصفاته وأفعاله وأحكامه وأسمائه ومحبة الله

وطاعته والمواظبة على ذكره وتقديسه وتمجيده وتهليله أشرف من اعطاء رغيف واحد فى مفازة أو تسخير حية أو أسد ، فلما أعطى المعرفة والمحبة والذكر والشكر من غير ســؤال فلا يعطيه رغيفا فى مفــازة أو يسخر ما يسخره أقرب ولا بعد فيه .

ثالثا : وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم حكاية عن رب العزة ، ما تقرب عبد الى بمثل أداء ما افترضت عليه ، فلا يزال يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا وقلبا ويدا ورجلا ، بى يسمع وبى يبصر وبى ينطق وبى يمشى ، وهذا الخبر يدل على أنه لم يبق فى سمعه نصيب لغير الله تعالى ، ولا فى بصره ولا فى سائر أعضائه اذ لو بقى هناك نصيب لغير الله جل شأنه لمــا قال أنا سمعه وبصره ، فاذا ثبت هذا فنقول : « لا شك أن هذا المقام أشرف من تسخير الحية والسبع ، واعطاء الرغيف وعنقود من العنب أو شربة من المــاء ، فلما أوصل الله برحمته عبده الى هذه الدرجات العالية ، فأى بعد فى أن يعطيه رغيفا واحدا أو شربة ماء فى مفازة .

رابعا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن رب العزة : من آذى لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة . فجعل ايذاء الولى قائما مقام ايذائه ، وهذا قريب من قوله تعالى : (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) ، وقال تعالى : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) .

وقال : (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة)، فجعل بيعة محمد صلى الله عليه وســلم بيعة مع الله عز وجل ، ورضاه محمد صلى الله عليه وسلم رضا الله جل جلاله ، وايذاء محمد صلى الله عليه وسلم ايذاء الله سبحانه فلا جرم اذا كانت درجة محمد صلى الله عليه وسلم أعلى الدرجات ، وكان واصلا الى أبلغ الغايات .

فكذا هنا لمــا قال من آذى لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة فدل ذلك على أنه تعالى جعل ايذاء الولى قائما مقام ايذاء نفسه ، ويتأكد هذا بالخبر المشهور انه تعالى يقول يوم القيامة : مرضت فلم تعدنى واستسقيتك فما سقيتنى واستطعمتك فما أطعمتنى فيقول : يارب كيف أفعل هذا وأنت رب العالمين ؟ فيقول : ان عبدى فلانا مرض فلم تعده ، أما علمت

أنك لو عدته لوجدت ذلك عندى وكذلك فى السقى والاطعام فدلت هذه الأخبار على أن أولياء الله يبلغون الى هذه الدرجات فأى بعد فى أن يعطى الله تعالى وليا من أوليائه كسرة خبز أو شربة ماء أو يسخر كلبا أو ذئبا أو يطوى له أرضا ويقرب منه بعيدا .

خامسا وأخيرا[1] : فان الكرامة مبنية على القوانين العقلية الحكيمة . فأن جوهر الروح ليس من جنس الأجسام الكائنة الفاسدة المتعرضة للتفرق والتمزق بل هو من جنس جواهر الملائكة وسكان عالم السموات ونوع القديسين المطهرين الا أنه لما تعلق بهذا البدن واستغرق فى تدبيره صار فى ذلك الاستغراق الى حيث نسى الوطن الأول والمسكن المتقدم ، وصار بالكلية متشبها بهذا الجسم الفاسد فضعفت قوته وذهبت مكنته ، ولم يقدر على شىء من الأفعال العظيمة . أما اذا استأنست بمعرفة الله ومحبته وقل انغماسها فى تدبير هذا البدن وأشرقت عليها أنوار الأرواح السماوية العرشية المقدسة ، وفاضت عليها من تلك الأنوار أضواؤها القدسية قويت على التصرف فى أجسام هذا العالم مثل قوة الأرواح الفلكية على هذه الأعمال ، وذلك هو الكرامات ، وفيه لمحة رائعة وهو أن الأرواح البشرية مختلفة بالماهية ففيها القوية والضعيفة ، وفيها النورانية والحالكة وفيها الصافية والكدرة ، وفيها الحرة والمستعبدة ، وفيها العزيزة والذليلة . والأرواح الفلكية أيضا كذلك ألا ترى الى جبريل عليه السلام كيف قال الله تعالى فى وصفه : (انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين) .

وقال فى قوم آخرين من الملائكة : (وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا) .

فكذا ههنا فاذا اتفق فى نفس من النفوس كونها قوية القوة القدسية العنصرية مشرقة الجوهر علوية الطبيعة ، ثم يضاف اليها أنواع الرياضات التى تزيل عن وجهها غبرة عالم الكون والفساد أشرقت وتلألأت وقويت على التصرف .

---

(1) كريمة الدارين : للاستاذ احمد فهمى .

منكرو الكرامـــات :

أما منكرو الكرامات فحجتهم ما يأتى :

١ — يقولون ان ظهور الخارق للعادة جعله الله تعالى دليلا على النبوة ، فلو أنه حصل لغير نبى لبطلت هذه الدلالة ، لأن حصول الدليل مع عدم المدلول يقدح فى كونه دليلا ، وذلك باطل •

ويرد الأستاذ أحمد فهمى عن هذه النقطة بقوله : « ان الناس اختلفوا فى أنه هل يجوز للولى دعوى الولاية ؟ » فقال قوم من المحققين أن ذلك لا يجوز فعلى هذا القول يكون الفرق بين المعجزات والكرامات • أن المعجزة تكون مسبوقة بدعوى النبوة والكرامة لا تكون مسبوقة بدعوى الولاية ، والسبب فى هذا الفرق أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : انما بعثوا الى الخلق ليصيروا دعاة للخلق ليخرجوهم من الظلمات الى النور ، ومن الكفر الى الايمان ومن المعصية الى الطاعة ، فلو لم تظهـــر دعوى النبوة لم يؤمنوا به ، واذا لم يؤمنوا به بقوا على الكفر واذا ادعوا النبوة وأظهروا المعجزة آمن القوم بهم ، فاقدام الأنبياء على دعوى النبوة ليس الغرض منه تعظيم النفس بل المقصود منـــه اظهار الشـــفقة على الخلق حتى ينتقلوا من الكفر الى الايمان أما ثبوت الولاية للولى فليس الجهل بها كفرا ولا معرفتها ايمانا فكان دعوى الولاية طلبا لشهوة النفس فعلمنا أن النبى يجب عليه اظهار دعوى النبوة والولى لا يجوز له اظهار دعوى الولاية فظهر الفرق •

أما الذين قالوا أنه يجوز للولى أن يدعى الولاية ، فقد ذكروا الفـــرق بين المعجزة والكرامة من وجوه :

(أ) ان ظهور الفعل الخارق للعادة يدل على كون ذلك الانسان مبرأ عن المعصية ثم ان اقترن هذا الفعل بادعاء النبوة دل على كونه صادقا فى دعوى النبوة وان اقترن بادعاء الولاية دل على كونه صادقا فى دعوى الولاية ، وبهذا لا يكون ظهـــور الكرامة على الأولياء طعنا فى معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام •

(ب) ان النبى صلى الله عليه وسلم يدعى المعجزة ويقطع بها والولى

اذا ادعى الكرامة لا يقطع بها لأن المعجزة يجب ظهورها أما الكرامة فلا يجب ظهورها .

(جـ) أنه يجب نفى المعارضة عن المعجزة ولا يجب نفيها عن الكرامة .

(د) أنه لا يجوز ظهور الكرامة على الولى اذا ادعى الولاية الا اذا أقر عن دعواه بكونه على دين ذلك النبى ، ومتى كان الأمر كذلك صارت تلك الكرامة معجزة لذلك النبى ومؤكدة لرسالته ، وبهذا التقدير لا يكون ظهور الكرامة طاعنا فى نبوة النبى بل يصير مقويا لها .

٢ ــ تمسك المنكرون بقوله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن رب العزة سبحانه لن يتقرب المتقربون الى بمثل أداء ما افترضت عليه فقالوا هذا يدل على أن التقرب الى الله بأداء الفرائض أعظم من التقرب اليه بأداء النوافل ، ثم لن المتقرب اليه بأداء الفرائض لا يحصل له شىء من الكرامات فالتقرب اليه بأداء النوافل أولى أن لا يحصل له ذلك .

والرد على ذلك : أن التقرب بالفرائض وحدها أكمل من التقرب بالنوافل أما الولى فانما يكون وليا اذا كان آتيا بالفرائض والنوافل ولا شك أن يكون حاله أتم من حال من اقتصر على الفرائض فظهر الفرق .

٣ ــ وتمسكوا بقوله تعالى : (وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس) والقول بأن الولى ينتقل من بلد الى بلد بعيد لا على هذا الوجه طعن فى هذه الآية ، وأيضا فان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يصل من مكة الى المدينة الا فى أيام كثيرة مع التعب الشديد ، فكيف يعقل أن الولى ينتقل من بلده الى مكة للحج فى يوم واحد .

والرد على ذلك : ان قوله تعالى (وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس) محمول على المعهود المتعارف ، وكرامات الأولياء أحوال نادرة فتصير كالمستثناة من ذلك العموم .

٤ ــ وقالوا : ان هذا الولى الذى تظهر عليه الكرامات اذا ادعى على انسان درهما فهل تطلبه بالبينة أم لا ؟ فان طالبناه بالبينة كان عبثا

لأن ظهور الكرامات عليه يدل على أنه لا يكذب ، ومع قيام الدليل القاطع كيف يطلب الدليل الظنى ، وان لم نطالبه بها فقد تركنا قوله صلى الله عليه وسلم : « البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر » فهذا يدل على أن القول بالكرامة باطل •

والرد على البند الثالث فيه الكفاية للرد أيضا على هذا البند •

٥ ـ اذا جاز ظهور الكرامة على بعض الأوليـــاء جاء ظهورها على الباقين ، فاذا كثرت الكرامات حتى خرقت العادة جرت وفقـــا للعادة ، وذلك يقدح فى المعجزة والكرامة •

والرد على ذلك : ان المطيعين فيهم قلة ، كما قال تعالى : (وقليـــل من عبادى الشكور) ، وكما قال ابليس : (ولا تجد أكثرهم شاكرين) واذا حصلت القلة فيهم لم يكن ما يظهر عليهم من الكرامات فى الأوقات النادرة قادحا فى كونها على خلاف العادة •

سبعة أولياء فى مصر لهم الكرامة :

قيل : ان فى مصر سبعة أولياء لهم التصرف ومنهم السيدة نفيسة رضى الله عنها ، والسيد البدوى ، وامامنا الشافعى ، وقد أكرمهم الله تعالى وأظهر خارق العادات لمن يتوسل بواحد منهم فى أى شىء من الأشـــياء التى تكون كرامة للولى وفى اعتقادى أنه ليس هذا التوسل ممنوعا أصلا لأن التوسل بالولى انمـــا يطلب من اللهاجابة طلبه اكراما لهـــذا الولى ، لاعتقاده أن هذا الولى أقرب منه الى الله تعالى ، وهذا لا فرق فيه بين الحى والميت لأن الفاعل هو الله تعالى ، بل انه بعد الموت أقرب منـــه حال الحياة الدنيوية لأن الروح بعد الممات غير مشغولة بتدبير شـــئون البـــــدن •

ولكن ما هى الوسيلة ؟

الوسيلة جاءت فى سورة المائدة فى قوله سبحانه وتعالى : (يا أيهـــا الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا فى ســـبيله لعلكم

تفلحون) ، والوسيلة والوصيلة لفظان معناهما واحد ، أى ما يتوصل به الى المقصـــود •

ومعنى قوله تعالى : (وابتغوا اليه الوسيلة) أطلبوا ما يوصلكم اليه ؛ فمعنى الآية اتقوا الله واطلبوا ما يوصلكم اليه ، وتقديم اليه فى قوله تعالى : « وابتغوا اليه الوسيلة) لافادة الحصر ، أى اطلبوا ما يوصـــل اليه وحده لا الى غيره •

وما الذى يوصل المؤمن الى ربه ؟

أول ما يوصـــل المؤمن الى ربه ايمانه الصادق وعمله الصالح ، كذلك من الوسائل التى توصل الانسان الى ربه دعاء غيره له ، فالانسان اذا عمل أعمالا أو تخلق بأخلاق ، أو أســـدى معروفا ، وأدى هذا الى أن تنطلق ألسنة الناس بالدعاء له ، فهذا من غير شك وسيلة توصل الانسان الى ربه ، وهذا داخل فى قوله تعالى (وابتغوا اليه الوسيلة) •

ولهذا لمـــا استأذن عمر بن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آن يعتمر وأذن له الرسول فى أن يعتمر قال له « لا تنسنا يا أخى من دعائك » •

وفى الحديث « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، وعلم ينتفع به ، وولد صالح يدعو له » ، فهذه تدل على أن دعاء الشخص لغيره وسيلة توصل الانسان الى ربه لأنه ليس المراد بالوسيلة اليه الوسيلة الى ذاته لأنه لا وسيلة الى ذات الله ، وانما المراد الوسيلة الى ثوابه والى رضاه ، والذى يوصل الى ثواب الله والى رضـــاه عمله وايمانه أو دعاء غيره له •

بقى التوسل بذات رسول الله أو النبى أو الولى أو الصالح •

فهل هذه أيضا وسيلة ؟

فهل يتوسل الى رضـــاء الله وثوابه بأشخاص يرى المتوسل أن لهم كرامة ومنزلة عند الله ، وأن التوسل بهم يوصل ؟

قال بعض العلمـاء : انه يصح التوسـل بأشخاص الرسل والأنبياء والأولياء والصالحين ؛ ولكن على معنى أن هؤلاء لهم عند الله مكانة ، وأن الله سبحانه يخصـهم بتكريمه لهم ، ومن أنواع تكريمه لهؤلاء الرسل والأنبياء والصالحين أن يثبت من يتوسل بهم لأن هذا التوسل فيه تقديرهم وتكريمهم والله يكرم ويرضى عن تقدير أوليائه ورسله ، والتوسل بهؤلاء الأشخاص عنوان تقدير المتوسل بهم وتكريمه ، والله سبحانه وتعالى يثيب من يكرم المقربين له ، ويستدل على هذا بأن عمر بن الخطاب كان يأخذ العباس بن عبد المطلب معه اذا أجدبت الأرض وأرادوا الاستسقاء، وكان يقول : « اللهم انا كنا نستسقى برسولك ونحن الآن نستسقى بعم رسولك » وظاهر هذه الكلمة أنه توسل بالأشخاص •

وعن ابن عمر قال : ربما تذكرت قول أبى طالب وأنا أنظر الى وجه النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال :

وأبيض يستسـقى الغمـام بوجهـه

كفيـل اليتـامى عصـمة للأرامل

وقد روى النسائى والترمذى وغيرهما أن النبى صلى الله عليه وسلم علم بعض أصحابه أن يدعو ، فيقول : « اللهم انى أسألك وأتوسل اليك بنبيك نبى الرحمة يا محمد يا رسـول الله أنى أتوسل بك الى ربى فى حاجتى ليقضيها لى ، اللهم فشفعه فى » •

وهذا يدل على جواز التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم حيا وميتا •

وفى الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا على فانه من صلى على مرة واحدة صلى الله عليه بها عشرة ، ثم سلوا الله لى الوسيلة فانها درجة فى الجنة لا ينبغى أن تكون الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون ذلك العبد ، فمن سأل لى الوسيلة حلت له شفاعتى يوم القيامة » •

ويقول بعض العلماء : ان معنى التوسل بهؤلاء الأشخاص التوسل بجاههم عند الله ، وجاههم عند الله ما هو الا فضل الله عليهم واحسانه عليهم فهو توسل بصفات من صفات الله وان كان ظاهره أنه توسل بالأشخاص .

ونعود فنقول أنه لا يجب الاعتقاد أن فلانا بعينه ولى . وأن الله أظهر الكرامة على يده فلم يقل أحد من العلماء بوجوبه على أحد بحيث يكفر جاحده بل يجوز لكل مسلم باجماع الأمة أن ينكر صدور أية كرامة كانت من أى شخص كان على التعيين ، ولا يكون بانكاره هذا مخالفا لشىء من أصول الدين ولا مائلا عن سنة صحيحة ولا منحرفا عن الصراط القويم فانه لم يجىء فى الشرع الا أشهد ألا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ولم يقل أحد بأنه جاء فى الشرع زيادة على ذلك وأن فلانا بعينه ولى الله . لكن من ينكر أن لله أولياء معينين فهذا هو المخالف للقرآن ولاجماع السنة .

بقيت كلمة أخيرة عن زيارة القبور فهى تارة يقصد بها الموعظة بالأموات وهذه تعمجميع القبور والأموات ، وتارة يقصد بها الاستمداد والتبرك بالمزور ، وهذا يختص بالأنبياء والأولياء الصالحين ، ألم يعلموا أن الانسان يتأثر بتصوراته وأن نفسه تحت قهر سلطان الوهم ، فكم من انسان تحقق أنه سيقتل لا محالة فتصور الموت واقعا به فمات بسبب ذلك قبل أن يقتل .

كذلك اذا زار الانسان مشهد الحسين رضى الله عنه واعتقد أنه بمكان طاهر بين يدى ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم استولى عليه الخشوعوالخضوع وامتلأ قلبه اخلاصا فيدعو الله مخلصا موقنا بالاجابة خصوصا اذا اعتقد أن روح الحسين رضى الله عنه تسأل الله تعالى اجابة دعاء زائره ، أليس ذلك سببا فى اجابة الدعاء وقضاء حوائج الزائرين المخلصين .

ولا نرى مسلما ولو عاميا يتوهم فضلا عن أن يعتقد أن لله شريكا فى خلقه فمهما اعتقد الزائر أن المزور أطهر منه روحا وأصفى نفسا بما أعطاه الله تعالى من الكمال الانسانى .

الكرامات وروح العصر :

ان الـكثير من المثقفين فى العصر الحاضر يمجـون ذكر الكرامات ، هكذا بدون حساب وفى اسراف مسرف ، ومما لا شك فيه أن أتباع الولى أينما كان وأينما كانوا يجادلون الاشادة بذكره فيروون عنه الكرامات الكثيرة فيصادف ذلك قبولا وارتياحا عند البعض ونفورا واعراضا عند الآخرين ، يجب أن يخضع العقل الانسانى للرسالات الالهية وهى التى تمده وترشده وتهديه ، فاذا استجاب لها أمن على نفسه العثار والزلل ، واذا جمح وتأبى عليهـا وقع فى اغلال الغرائز وانقلب عمـله كله الى اسـتجابات مادية تصـب الحقائق فى قوالب مادية وتحيـل الديانات والعقائد الى مجموعة من الصور الوثنية .

والعقل الانسانى وهذا مكانه من الرسالات الالهية كثيرا ما يقوده الغرور الأخرق الى أن يقف منها موقف الحاكم المستبد فيثبت منحقائقها ما يشاء ويمحو منها ما يشاء ويتشكك فيما يشاء ، ومن العجيب أنه فى اتيانه ومحوه وشكه أو تشككه لا يعتمد على منطق واحد ، ولـكنه التشهى الذى تقوده اليه الغرائز الجامحة فتوقعه فى الخبط والخلط فى الوقت الذى يزعم فيه أنه استوى على عرش المجـد الفكرى ، ومن هذه الحقائق التى وقف فيها ذلك الموقف فأنكر منها أشـياء وارتاب فى أشياء وأثبتت منها أشياء المعجزات والكرامات .

ولقد وصل الأمر ببعض المنكرين للكرامات أن أنكروا كل المعجزات الحسية التى ذكرت للرسول صلى الله عليه وسلم فى السنة الصحيحة ، وفى الأخبار التى محصها رجال الحديث واكتفوا فى المعجزات بالقرآن الكريم نافيين كل شىء غيره ممـا ذكرته كتب الصـحاح على اختلاف أنواعها .

ان روح الكثيرين فى العصر الحاضر تنادى بانكار الكرامات وتسخر فى وضوح أو اشارات بكل من يروى كرامة ولى .

ويقول الأسـتاذ الدكتور عبد الحليم محمود فى كتابه (أبو الحسن الشاذلى) :

ومع قيام هذه المشكلة أمامى (مشكلة انكار الكرامات) فى وضوح فاننى لم أتردد قط فى أن أبدأ كتابى بكرامة لأبى الحسن الشاذلى ، وما شككت قط فى ثبوتها وما شككت قط فى صحة النقل ، ثم وجدتنى أنقل هذه الكرامات فى مناسبة ، وتلك فى أخرى ، ولم أجد فى ضميرى عتابا ، ولا فى شعورى تراجعا ، ولا فى ذوقى نفورا ، لماذا لم أجد حرجا فى نقل بعض الكرامات للأسباب الآتية :

١ ــ ان القرآن الكريم يحدثنا فى أسلوب لا لبس فيه عن المعجزات التى تفضل الله بها على رســله وأنبيائه ، ويحدثنا عن الكرامات التى منحها سبحانه وتعالى لأوليائه وأصفيائه ، ألم يحدثنا القرآن الكريم بصورة لا تحتمل التأويل بأن عيسى عليه الســلام كان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ، وأنه كان يبرىء الأكمه والأبرص ويحيى الموتى باذن الله ؟ •

ألم يحدثنا عن سيدنا موسى بأن ألقى عصاه فاذا هى تلقف مايأفكون، وبأنه أخرج يده فاذا هى بيضاء للناظرين ، وسيدتنا مريم ، ألم تحمــل بسيدنا عيسى من غير أب ، خارقة بذلك قوانين الطبيعة ، وكانت كلمــا دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ، قال يا مريم أنى لك هذا ؟ قالت : هو من عند الله •

٢ ــ ثم ان ما نسميه قوانين الطبيعة ، انمــا هو فى الواقع عادات طبيعية ، وخرقها ليس بمستحيل عقلا ، وخرقها لا يترتب عليه مستحيل، وعادات الطبيعة لا تسيطر على رب الطبيعة •

٣ ــ ثم ان هؤلاء الذين تجــرى على يديهم المعجزات أو الكرامات لا ينسبونها لأنفسهم ، وانما ينسبونها الى المتفضل الوهاب ، صاحب القدرة والقهر ، انهم ينسبونها الى من هو على كل شىء قدير •

٤ ــ والملاحظ فى منكرى الكرامات على مر العصــور أنهم يتميزون بألوان الغلظة وقساوة القلب ، فلا تجد منهم رقة الشعور ، ولا صفاء البصــيرة ، ولا ملائكية الروح ، وهم ان لم يكونوا من الملاحدة ، من الصنف الذى لم يخالط الايمان شغاف قلبه ، وانما بقى صــورة عائمة على السطح •

٥ ــ وجمهرة المسلمين على ممر العصـــور عامتهم وخاصتهم وقممهم الشوامخ فى العلم والدين من الذين يثبتون الكرامات ويؤمنون بها ٠

ويضرب الدكتور عبد الحليم محمود مثلا خاصا به يضيفه الى الأسباب العامة التى ذكرناها ، والتى تجعله يؤمن بالكرامات فيقول :

« فى فترة من الفترات ابتلانى الله بموضوع شق على نفسى وعلى نفس المحيطين بى ، واستمر الابتلاء مدة كنا نلجأ فيها الى الله طالبين الفـــرج ٠

وذات يوم أتى عندى بعض الصالحين ، وكان على علم بهذا الابتلاء ، وأعطانى ورقة كتبت فيها صيغة من صيغ الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : اقرأها واستغرق فيها ، وكررها منفردا فى الليل ، لعل الله يجعلها سببا فى تفريج هذا البلاء ٠

واعتكفت فى غرفة بعد صلاة العشاء ، وأضأت نور الغرفة وأمسكت الورقة بيدى وأخذت فى تكرار الصيغة ، واستغرقت فيها ، واذا بى أرى فجأة أن الحروف التى كتبت بها الصيغة مضيئة تتلألأ نورا ، ومع أن الغرفة كانت مضيئة ، فان الحروف كانت تتلألأ نورا فى وسط النور ، ولم أصدق عينى فغمضتها وفتحتها عدة مرات ، فكان النور على ما هو ، فوضعت الورقة أمامى ، ووضعت يدى على عينى أدلكهما وأدعكهما ، ثم فتحت عينى ، فاذا الحروف على ما هى عليه تتلألأ نورا وتشع سناء ــ فحمدت الله وعلمت أن أبواب الرحمة قد فتحت ، أن هذا النور رمز لذلك ، وفعلا أزال الله الكرب وحقق الفرج بكرامة هذه الصيغة المباركة ٠

وأمر آخر من خوارق العادات شاهدته بنفسى :

فى ذات صباح كنت جالسا فى المنزل فى غرفة المكتب كعادتى ، وكنت فى تلك اللحظة مطأطىء الرأس ، ثم رفعت رأسى ناظرا أمامى ، واذا بى أجد أمامى انسانا ، فأخذت فى تأمله دون أن أشعر قط بخوف أو فزع ، كانطويلا أقرب الىالنحافة منه الى السمنة ، يميل لونه الى السمرةوعلى

رأسه شال أبيض ، وكان فى وقفته منحنيا قليلا ، وقد تأملنا ملابسه أيضا فى تفاصيلها وشكلها لم يتحدث معى ولم أتحدث اليه ، وبعد فترة ونحن على هذا الوضع أنظر اليه فى تحديق ويمد عينيه الى فى نظرات ثابتة أخذ يشف شـيئا فشيئا وألاحظ أنا فى وضوح التـدرج فى هذه الشفافية ، وانتهت الشفافية بزواله تماما دون أن يتحرك من موضعه .

ويقول الدكتور عبد الحليم محمود فى ختام كلامه : هذا ما شـاهدته بنفسى .

ثم يذكر أيضا فى مقدمة كتابه عن « أبو الحسن الشاذلى » :

« لقد اضطررت الى كتـابته (يقصد كتاب أبو الحسن الشـاذلى) اضطرارا ، لقد حملت على تأليفه حملا ، وما كان لى فى تحديد زمن كتابته من ارادة حرة ، أو اختيار يبيح لى التأجيل الطويل ، وسأذكر قصة تأليفه سواء أسخر الناس منها أم لم يسخروا ، وسواء أصدقوها أم أنكروها ، اننى أروى هنا ما وقع لى شخصيا أرويه كما حدث دون زيادة أو نقص، وما من شك فى أن مثله بل وأغرب منه يحدث كل يوم ، ومع ذلك فان المنكرين والشاكين والساخرين لايزيدهم ذلك الا شكا وانكارا واستمرارا فى السخرية .. » .

ثم يتكلم الدكتور عبد الحليم فى ما صادفه فى التحضير لهذا الكتاب ، وطلبه المراجع من أصدقائه كما وجد فى دار العشـيرة المحمدية بعض المراجع ، ومنها كتاب (درة الأسرار) ثم سافر الدكتور الى عدة أقطار ، واستكمل المراجع ثم يقول : « ثم صرفتنى الصوارف ، وطويت صحف أبى الحسن ، وشغلت بأمور أخرى ، ومضت الأيام والسنون وصحف أبى الحسن مطوية ، حتى اذا كانت سنة ١٩٦٢ دعيت الى تونس أستاذا زائرا لمدة شهر بجامعة الزيتونة فتجددت عندى الذكريات عن أبى الحسن ، وأخذت أتنسم عبيره فى تونس ، لقد صعدت الى الجبل الذى كان يتعبد به، ودخلت المغارة التى كان يعتكف بها ، ونزلت الى نهاية المغارة ، وجلست خاشعا متعبدا حيث كان يتعبد أبو الحسن ، وحيث كان يقضى الساعات الطوال ليلا ونهارا ، وحيث كان يخلو فريدا بربه متضرعا ، يغلبه الشوق ، وتغمره المحبة ، ويعمر قلبه اليقين ، وشعرت فى المغارة بطمأنينة النفس،

وبالسكينة تملأنى ، وبتجمع خواطرى بصورة عجيبة وبالتركز الذهنى الذى يندر ويعز وجوده » •

ثم يقول الدكتور عبد الحليم :

« وكنت فى ليبيا أستاذا زائرا للجامعة الاسلامية هناك ، وكنت قد انتهيت من القاء المحاضرات فى البيضاء وبنى غازى وطرابلس ، وكنت قد اتخذت الاجراءات للسفر حاجا الى بيت الله الحرام ، وبينما أنا فى طرابلس أنتظر أن أبحر منها الى الأراضى المقدسة اذ بى أرى ، فيما يراه النائم ، شخصا أعرفه ، اسمه « توفيق » أراه فى ملابس غير ملابسه العادية ، أراه يلبس ملابس شرطى ، ويمسك بيده قيدا ويقول لى آمرا : (أكتب عن أبى الحسن الشاذلى) وتلكأت فى الاجابة ، وأردت أن أهمل الموضوع وأن أتحدث معه فى شىء آخر ، فاذا به يهدد بوضع القيد فى يدى ، واذا به ينذر ويتوعد فقلت له :

هل معنى ذلك أن أترك ما بيدى من أعمـال لأكتب عن أبى الحسن الشـاذلى ؟

فقال : نعم ، أترك ما بيدك من أعمال واكتب عن أبى الحسن •

ورضى (توفيق) حينما وعدت بالكتابة •• واستيقظت » •

ويقول الدكتور عبد الحليم محمود :

ثم فكرت فى كتابة كتاب عن الايمان وأخذت المراجع وقمت برحـلة مع بعض الأصدقاء ، ثم نزلنا من السيارة (سيارة أجرة) أمام القرية، وعادت السـيارة من حيث أتت ، عادت وبداخلهـا المراجع وتذكرت : (أترك ما بيدك واكتب عن الشاذلى) وقلت فى نفسى لنكتف بهـذه الدروس ولنبدأ •

هذه قصة الدكتور عبد الحليم محمود مع أبى الحسن سجلها فى كتابه

بدون زيادة أو نقص ، ولك أن تستخرج منها ما تشاء ، وانما أقول : انها كرامة الصوفى المجاهد العارف بالله أبى الحسن الشاذلى .

كرامات السيدة نفيسة

فى حديث للسيدة نفيسة عن الكرامات قالت :

« شتان بين خدع المخادعين وتضليل المضللين من الناس وبين كرامات الأولياء الصادقين ، أولئك الذين يخصهم الله بتلك الكرامات لتكون برهانا على صدقهم وتكريما لهم من الله ، ونورا يستضىء به من شاء أن ينسج على منوالهم ليصل الى ما وصلوا اليه أو بعضه ، فباب الرحمة مفتوح دائما لعباد الله — وطريق الطاعة للقربى منه ميسر لكل من قهر نفسه وشيطانه وهما العدوان اللدودان اللذان اذا قهرهما عبد نجا وسار فى الطريق المستقيم متنقلا من نور الى نور ومن مرتبة الى أخرى حتى يلقى الله وهو راض عنه فتنعم روحه ، ويشع من نعيمها بعض الكرامات لتهدى الى سواء السبيل وليس عزيزا على الله أن يكرم أولياءه فى دنياهم وفى رزقهم جزاء ما اتقوا وجاهدوا وصبروا ، وقد تتجلى الكرامات فى أرواحهم الطاهرة فى البرزخ أكثر مما تجلت فى حياتهم الدنيا حتى يكون للكرامة أثر أبلغ فيمن يلمسها ، أو يراها ، أو يسمع عنها ، فينشرح صدره ، وينكب على طاعة ربه ، وقد تكون تلك الكرامات بالالهام أو فى رؤيا منامية ، واذا كان الولى فى الدرجات العليا استطاعت روحه البرزخية أن تنطق وتهدى الى ما يخيل الى الناس أنها انتقلت من باب الكرامات الى باب المعجزات ، ان ذلك على الله يسير ، ولا يجحد كرامات الأولياء الا من طبع الله على قلوبهم ، وأعمى أفئدتهم ، فانها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ، أما فيما يتعلق بما سماه الناس بكرامات لى فهذه ليست الا من قبيل النوع الذى يقود الى الطاعة ، والسير فيما يرضى الله حتى يصل من شاء الله له الهداية الى منازل الصلحين » .

وللسيدة نفيسة كرامات كثيرة فى حياتها وبعد وفاتها متصلة متتالية مترادفة متوالية ، وقد ذكر الامام ابن حجر رضى الله عنه نحوا من مائة وخمسين كرامة ذكرها لا على سبيل الحصر ، بل على سبيل المثال ، وانا

لنذكر بعض كراماتها فى حياتها وبعد مماتها لنكشف قبسا من ساطع نورها ، ولمحة من لمحات ربها ، وفيوضه عليها ، وهى السيدة كريمة الدارين سليلة أهل البيت ومن كراماتها :

١ ـ قال عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى امام الشام وفقيهها وعالمها ، المتوفى فى سنة ١٥٨ قلت لجوهرة ، احدى اماء الحسين ، هل رأيت من سيدتك الصغيرة نفيسة كرامة قالت : (نعم كنت فى يوم شديد القيظ واذا بتنين (ثعبان) قد جاءنى وكان معى ماء لسيدتى نفيسة ، فصار ذلك التنين يمرغ خده على الابريق كأنه يتمسح به ، تبركا بمائها ، ثم ذهب من حيث أتى) .

٢ ـ عن سعيد بن الحسن ، قال : توقف النيل بمصر فى زمن السيدة نفيسة رضى الله عنها فجاء الناس اليها وسألوها الدعاء فأعطتهم قناعها فجادوا به الى النهر وطرحوه فيه فما رجعوا حتى زخر النيل بمائه وزاد زيادة عظيمة .

٣ ـ ازدحمت الخيل على أمها ، وكانت تحملها ، وهى طفلة رضيع لم تتجاوز نصف حول ، فأشارت وهى فى حضن أمها بيدها الكريمة برد الخيل فردها الله عز شأنه ببركتها اعلاما بما يكون لتلك الطفلة فى مستقبل أيامها من علو شأن ورفعة قدر .

٤ ـ كان لامرأة عجوز أربع بنات يتقوتن من غزلهن من الجمعة الى الجمعة ، وفى آخر الجمعة تأخذ أمهن العجوز غزلهن وتمضى به الى السوق فتبيعه وتشترى بنصف ثمنهكتانا يغزلنه وبنصفه الاخر مايمونهن طول الأسبوع ، فأخذت العجوز يوما ما غزلته على عادتها ولفته فى خرقة حمراء ومضت به الى السوق لبيعه فبينما هى سائرة فى طريقها والغزل على رأسها ، اذ انقض طائر على رزمة الغزل بخرقتها الحمراء ، واختطفها وارتفع فوقعت المرأة مغشيا عليها ، فلما أفاقت أذرت دموعها ، وأسالت عينيها ، واسترسلت فى بكائها ، ثم أخذت تقول : (كيف أصنع باليتيمات، وقد أجهدهن الجوع ، وآلمهن السغب) فاجتمع القوم عليها ، وسألوها عن شأنها وعما أبكاها ، فأخبرتهم بقصتها ، فدلوها على أن تذهب الى السيدة نفيسة رضى الله عنها تبثها بثها وحزنها ، وتذكر لها أمرها فينفس الله ما بها ويزيل غماءها .

فذهبت اليها لوقتها فأخبرتها بقصتها وما جرى لها وما أصاب بناتها من جوع وسألتها الدعاء فأشفقت عليها السيدة نفيسة ورثت لها ولبناتها ثم رفعت السيدة نفيسة ببصرها الى السماء قالت : (يا من علا فقدر وملك فقهر ، أجبر من أمتك هــذه ما انكسر ، فانها وبناتها من خلقك وعيالك ، يا أرحم الراحمين) •

ثم قالت للعجوز : اقعدى ، فان الله بعباده رحيم ، وهو على كل شيء قدير ، فجلســت المرأة بالقرب من الباب ، وفى قلبها من جوع بناتها التهاب ، فلم تمض ساعة حتى أقبل جماعة يطرقون باب السيدة نفيسة ويستأذنون فى الدخول فأذنت لهم ، فدخلوا وسلموا عليها وهى من وراء حجــاب •

فسألتهم عما أقدمهم وعن أمرهم ، فقالوا : (ان لنا لأمرا عجبا نحن قوم تجار ولنا مدة ونحن سائرون فى البحر فى سلامة وأمان فلما وصلنا الى أقرب بلدكم انثغرت فى مركبنا ثغرة وفتحتفيها فتحة فدخل فيها الماء وأشرفنا على الغرق فجعلنا نسد تلك الثغرة فلم تنســد فاستغثنا بالله تعالى وضرعنا اليه وتوسلنا بك اليه ، فاذا بطائر ألقى الينا خرقة فيها غزل من الكتان فوضعناها فى تلك الفتحة فانسدت باذن الله تعالى وببركتك، وقد جئنا اليك بخمسمائة درهم فضة شكرا لله تعالى على نجاتنا وسلامة مركبنا) وعند ذلك بكت السيدة نفيسة رضى الله عنها ورفعت بصرها الى السماء وقالت :

(الهى ما أرأفك بخلقك وألطفك بعبادك فلك الحمد الجميل والشكر الجزيل) •

ثم نادت العجوز فأقبلت مسرعة فقالت لها سيدة الدارين : (بكم تبيعين غزلك كل جمعة) ؟ •

فقالت : بعشرين درهما •

فقالت : أبشرى فان الله تعالى عوضك عن كل درهم خمسا وعشرين درهما •

ثم قصت عليها قصة ذلك التاجر ودفعت اليها ذلك المبلغ ، فأخذته وهى تضرع الى ربها بحمدها وثنائها ، وتشكر للسيدة بركتها ونفحتها ورجعت الى بناتها وقد اســتطارها الفرح فأخبرتهن بما جرى وكيف أن الله تعالى رد لهفتها ببركة السيدة نفيسة رضى الله عنها .

٥ — تزوج رجل من أهل المغافر ، بامرأة ذمية من أقباط مصر فجاء منها بولد فأسر فى بلاد العدو فجعلت المرأة تذهب الى الكنائس والأديار تسأل عن الأسارى وولدها لم يفك أسره ولم يجىء مع من كان يأتى من الأسارى .

فقالت لزوجها : (بلغنى أن من بين أظهرنا سيدة شريفة من أسرة نبيكم يقال لها السيدة نفيسة بنت الحسن ولها كرامات ونفحات فاذهب اليها لعلها تدعو لولدى فان جاء آمنت بدينها) فجاء الرجل الى السيدة نفيسة رضى الله عنها وقص عليها القصة فضرعت الى ربها أن يرد عليه ولده ويخلصه من أسره .

فلما كان الليل اذا بالباب يطرق فخرجت المرأة ، فاذا بها تجد الطارق ولدها وهو واقف بالباب فصاحت من فرحتها ، واحتضنت ولدها ودمع الفرح تسيل على وجنتيها ، ثم قالت : (يابنى أخبرنى بأمرك كيف كان).

فقال يا أماه كنت واقفا بالباب فى الوقت المعين ، وهو الوقت الذى دعت فيه السيدة نفيسة ، وأنا فى خدمتى فلم أشعر الا ويد وقعت على القيد وسمعت من يقول : (أطلقوه ، فقد شفعت فيه السيدة نفيسة بنت الحسن) فأطلقت من الغل والقيد ، ثم لم أشعر بنفسى الا وأنا أدخل من رأس محلتنا الى أن وقفت على الباب وطرقته .

ففرحت به أمه وأبوه وشاعت هذه الكرامة فأسلم فى تلك الليلة أهل سبعين دارا ببركتها وأسلمت المرأة ووهبت نفسها لخدمة السيدة نفيسة رضى الله عنها .

٦ — وكان أحـــد أمراء عصرها يغلب على أحواله الظلم وقد طلب انسانا ليعذبه ، فلما قبض على الرجل أعوان الأمير ، فبينما هو سائر

معهم اذ مر بدار كريمة الدارين فصــاح مســتجيرا بها ، فما سمعت استجارته حتى دعت له بالخلاص .

وقالت له : (حجب الله عنك أبصار الظالمين) .

فمضى به الأعوان حتى أوقفوه بين يدى الأمير .

فقال الأمير لأعوانه : (أين الرجل الذى أمرتكم باحضاره) .

فقالوا : (أيها الأمير ، انه واقف بين يديك) .

فقال الأمير : (والله ما أراه) .

فقالوا : (أيها الأمير ، انه مر بالسيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد رضى الله عنهم ، فاستجار بها وسألها الدعاء ، فدعت له بخلاصــه ، وقالت : حجب الله عنك أبصار الظالمين) .

فقال : « أو بلغ من ظلمى هذا يارب ، انى تائب اليك وأستغفرك » . فلما تاب وقد نصح فى توبته وأخلص فى نيته اذا به يرى الرجل وهو واقف بين يديه . فدعاه الى الاقتراب منه ، وقام الأمير من مجلسه وأخذ برأس الرجل فقبله واعتذر اليه وصرفه من عنده شاكرا ، ثم جمع ماله وتصدق ببعضه على الفقراء والمساكين وذهب الى السيدة نفيسة رضى الله عنها ومعه مائة ألف درهم وقال : « خذى هذا المال شكرا لله تعالى بتوبتى » ، فأخذته وأخذت تصره فى صرر بين يديها ، ثم أمرت به ففرقته عن آخره ، ولم تبق منه شيئا شأنها فى كل مال يوهب لها ، وكان حاضرا عند ذلك بعض من يخدمنها من النساء فقالت لها : « يا سيدتى . لو أبقيت لنا شيئا من هذه الدراهم لنشترى بها شيئا نفطر عليه » ، فقالت

لها « خذى غزلا غزلته بيدى فبيعيه بشىء تشترين منه ما نفطر عليه »، فذهبت المرأة وباعت الغزل وجاءت لها بما فطرت به هى وأباها ، ولم تأخذ من المال شيئا .

٧ ــ وقال القضاعى رحمه الله تعالى : قلت لزينب بنت يحيى أخى السيدة نفيسة رضى الله عنهم : « ما كان قوت عمتك ؟ » .

قالت : « كانت تأكل فى كل ثلاثة أيام أكلة ، وكانت لها سلة معلقة أمام مصلاها ، وكانت كلما طلبت شيئا للأكل وجدته فى تلك السلة ، وكانت لا تأخذ شيئا من غير زوجها أو ما يحبوها به ربها فالحمد لله الذى جعل لنا نصيبا مما جعل للسيدة مريم ابنة عمران عليها السلام ، فان الله تعالى قال فى كتابه المبين حاكيا عنها : (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال : يا مريم أنى لك هذا ؟ قالت : هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) .

وقد جعل الله للسيدة نفيسة رضى الله عنها ، ما جعل للسيدة مريم عليها السلام ويقول الأستاذ أحمد فهمى فى ذلك :

وحبا الاله نفيسـة بـكرامة	خصت بها من قبل ذلك مريم
فيض من الله الغنى ونفحـة	فتبـارك الله الـكريم المنعم
والله يرزق من يشـاء بفضله	والله يرفع من يحب ويـكرم

٨ ـ وكان الامام الشافعى رضى الله عنه اذا مرض يرسل اليها رسولا من قبله ـ كالربيع الجيزى أو الربيع المرادى ـ أو غيرهما من أصحابه فيقرئها سلامه ويقول لها : ان ابن عمك الشافعى مريض ويسألك الدعاء فتدعو له فلا يرجع اليه رسوله الا وقد عوفى من مرضه .

فلما مرض مرضه الأخير أرسل على عادته رسوله يلتمس منها الدعاء، فقالت لرسوله : « متعه الله بالنظر الى وجهه الكريم » .

فجاء رسول اليه ، فسأله عما أجابت به فقال له ما سمعه منها ، فعلم أنه ميت .

ويقول بعض الصالحين ممن حضر جنازة الامام الشافعى رضى الله عنه : « سمعت بعد انقضاء الصلاتين صوتا ولا أرى شخصا يقول : ان الله تعالى غفر لكل من صلى على الشافعى بالشافعى ، وغفر للشافعى بصلاة السيدة نفيسة عليه » .

٩ ــ وقد ذكرنا سابقا قصة الفتاة المقعدة التى جرى ماء وضــوء السيدة الصالحة نفيسة رضى الله عنها على قدمها فشفيت •

١٠ ــ وكان الناس يهرعون الى السيدة كريمة الدارين فى كل مقصد ويسألونها الدعاء فلا يلبثون حتى يجبر الله كسرهم ويقضى حاجتهم ويفرج كربهم ويكشف عنهم همومهم ، فكانوا يزدحمون عندها •

ــ فقال زوجها اسحاق المؤتمن يوما لها : « ارحلى بنا الى الحجاز »•

ــ فقالت : « لا أستطيع ذلك لأنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وقال لها : لا ترحلى من مصر فان الله تبــارك وتعالى متوفيك فيها » •

كراماتها بعد وفاتها :

ما من زائر لقبر كريمة الدارين الا حفت به بركاتها وشملته نفحاتها فكم من مهموم زارها وضرع الى الله تعالى فانحسرت غمومه وانقشعت همومه ، وكم من خائف مذعور من جور الى حيف أو ظلم الا وقد لقى الانصاف وباعد الله عنه الظلم وأزال عنه العسف فسكن قلبه وعاد بعد زيارتها وهو وادع الحال ساكن البال مطمئن الفؤاد فمقامها من الأماكن المعروفة باستجابة الدعــاء •

وكراماتها بعد وفاتها كثيرة وهى آية على اكرام الله تعالى اياها وعلى ما خص الله به آل بيت نبيه صلى الله عليه وسلم من كرامات وأسبغ عليهم من نفحات وفيوضات •

١ ــ قال أبو موسى رحمه الله تعالى : « دخلت الى ضريحها فوضعت يدى على الضريح فسمعت قائلا : « أهكذا تدخل على أهل بيت النبوة » •

٢ ــ وقال بعض المؤرخين : « كان بمصر رجل يقال له عفان بن سليمان المصرى فوجد بداره كنزا دفينا • فأخذ يتصدق من هذا المــال على الفقراء والمساكين والأيامى واليتامى والمحتاجين فأمعن فى صدقاته حتى كان لا ينام ليلة حتى يطعم خمسمائة بيت من أهل مصر ، وكان يتلقى

الحجاج كل عام من أرض التيه ، وكان يحمل المنقطعين منهم ، ويكشف حاجتهم وينفس كربهم ، وفى بعض الأيام اشــترى من الأمير أحمد ابن كيغلغ ألف حمل من البر ، وبعد أيام قلائل وقع غلاء بمصر فزاد ثمن البر عن ســعره بثلاثة أمثــال فبعث اليه وأحضره بين يديه فقال له ابن كيغلغ : خذ ثمن البر الذى اشتريته منى واردد البر أو ادفع ثمنه بالسعر الحاضر فقال له عفان لا أفعل ذلك ، ثم خرج عفان من عند الأمير غضبان أسفا وذهب الى داره وجلس على الباب فجاء اليه القوم وقالوا له أنظر ما وقع فى الناس من جدب وغلاء ومهما طلبت فى البر الذى عندك من ثمن فأنا على استعداد لدفعه عن طيب خاطر فقال لهم لا والله تعالى فانى انما أدخر الثمن عند الله عز وجل ، وانى قد تصدقت به على الفقراء والمساكين والأيامى والأرامل ، ثم قام من وقته وفرقه جميعه ولم يبق منه الا ما يسد حاجته وحاجة أهله ، فبلغ ذلك تكين بن عبد الله الحربى الأمير أبو منصور المعتضدى الخزرى أمير مصر ، وكان جبارا مهيبا ، وقد شكاه أهل مصر الى العارف بالله تعالى بنان بن أحمد الواســطى الواعظ ، فدخل عليه ووعظه وقال له : ارجع عن أهل مصر — فلم يرجع — ولم يسمع .

وأمر باخراج بنان الى بلاد المغرب فشكاه أهل مصر الى العارف بالله تعالى الشيخ أبى الحسن الدنيورى ، فدخل عليه وعظمه ووعظه فلم يرجع وأمر باخراجه من مصر الى بيت المقدس .

وقد أمر تكين بأخذ أموال عفان ، فذهب عفان الى السيد الشريف على ابن عبد الله ، وقال له : « يا سيدى انى أريد أن أخرج من مصر الى غيرها من بلاد الله تعالى فرارا من الظلم ومن بغى الجبار تكين » ، فقال له الشريف على : « قم بنا الى ضريح السيدة نفيسة رضى الله عنها ندعو الله عنده أن يشغل هذا الجبار عنك » ، فجاء عفان من جانب — والشريف من جانب آخر — قرآ ما تيسر من القرآن ، وسألا الله عز وجل أن يجعل ذلك واصلا الى السيدة نفيسة رضى الله عنها وأن يفرج عن عفان ما هو فيه من ضيق وكرب فأخذتهما سنة من النوم فرأى الشريف على السيدة نفيسة رضى الله عنها وهى تقول له : « خذ عفان معك واذهب الى تكين فقد قضيت حاجته » فلما استيقظ الشريف حدثه بما رآه فى نومه وأخذ بيده وتوجها الى تكين فدخلا عليه فقام تكين الى الشريف وهو

يرعد ، وكأنما قد حم لوقته وقال : « انى رأيت السيدة نفيسة رضى الله عنها وهى تقول : أكرم الشريف عليا وارجع عن عفان واردد عليه ماله فانه قد استجار بنا » فقال الشريف هذا عفان بين يديك ، فقال تكين : « والله ما رأيته ، يا رب انى تائب اليك ، فاقبل توبتى واغفر حوبتى » فتاب تكين من الظلم توبة نصوحا وأخلص نيته فرآه فى الحال فأكرمهما ، ورد الى عفان ماله ، وقال لعفان : « أنت عتيق السيدة نفيسة رضى الله عنها » ، ثم أمر تكين بمال كثير تصدق به على الفقراء والمساكين وصار يحسن الى أهل مصر ويعدل بينهم ، وكان يقول : « كل أهل مصر يخافوننى وأنا أخاف من دعوة عفان عند ضريح السيدة نفيسة رضى الله عنها » .

وقد أحسن تكين من شأنه وحكمه فى أهل مصر ، ولازم زيارة مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها ، وكان يتصدق عنده بالمال الكثير ، وينفح خدمه بمنحات وأعطيات الى أن توفى فى ربيع الأول سنة احدى وعشرين وثلاثمائة ، وقد أوصى بأن يدفن فى بيت المقدس ، فحمل فى تابوت الى بيت المقدس فدفن فيه .

أما السيد الشريف الذى تشفع لعفان بكرامة السيدة نفيسة فهو على ابن عبد الله بن القاسم بن محمد بن جعفر الصادق رضى الله عنهم ، وكان من أهل الصلاح والتقوى والدين والعبادة — وله مشهد جليل — بناه الظافر الخليفة الفاطمى وكان يحمل اليه النذور .

وكان الفاطميون يأتون الى هذه المشاهد ويتصدقون عندها بالأموال .

قال أبو عمر الكندى : وكانوا يجعلون عليها الستور ، ومات على ابن القاسم هذا سنة خمس وعشرين وثلاثمائة ، وحين تشفع لعفان بعث اليه عفان فى الليل مائة دينار فردها وقال للذى جاء بها له « قل له ان الله تعالى يقول : من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها » فكيف أبيع نصيبى بمائة دينار » .

٣ — وحكى عن أبى العز اليمانى أنه قال : « كنت عزيزا فى قومى أثيرا فى عشيرتى من أكثرهم مالا وضياعا فاستطلت بنفسى وشمخت بأنفى

وتكبرت على الناس واحتقرت أمرهم فلم ألبث حتى ذهب مالى وضاعت ضياعى فضاقت الأرض بما رحبت واشتد بى الحال وصرت كاسف البال ، فشمت بى العدو ورثى لى الصديق ، فشكوت أمرى الى أحد أصدقائى فأشار على بزيارة الصالحين والدعاء عندهم عسى الله تعالى أن يأتى بفرجه القريب ، فيذهب عنى ما نزل بى ، فاعتزلت الناس ، فرأيت فى نومى كأنى فى فضاء واسع فيه نور ساطع يظهر آونة ويختفى أخرى ، فأخذنى العجب من ذلك ، فاذا بقائل يقول : (هذا نور السيدة نفيسة بنت الحسن رضى الله عنهما) فقلت : عسى الله أن يجمع بينى وبينها فأسألها الدعاء بأن يكشف الله كربتى ويفرج غمتى ، فقيل لى : انها قد توفيت ، فقلت : (أغتنم بركة زيارتها) فسمعت من يقول : (أنا نفيسة يا أبا العز ففارق نفسك ، وانزع عنها سوءها) فقلت : فارقتها فرقة لا عودة لى اليها ، وانى تبت الى الله عز وجل مما فرط منى ، فقالت : أبشر ، فقد قبلت التوبة ، وزالت الحوبة ، فأصبحت فرحا بما رأيت ، وما لبثت أن زالت غمتى ، وانفرجت كربتى ، وحسن حالى ، واستروح بالى ، وصرت فى حالة أحسن من حالتى السابقة ، وأفاض الله على من نعمائه ، وأسبغ على من آلائه أضعاف ما كنت فيه ببركة سيدة الدارين.

٤ — قال ابن اياس : كان لمحيى الدين بن مترى البزدار ابنة صغيرة لها من العمر نحو سبع سنين ، وكان يسكن بالقرب من مزار السيدة نفيسة رضى الله عنها ، وكان على رأس الابنة كوفية من ذهب ، فوقفت تلعب مع الصغار ، وكان لهم جار صبى أمرد يعمل فى صنعة القمريات ، فلعبت عينه على الكوفية الذهب التى على رأس البنت ، فلعب بعقلها وقال لها : ان والدتك فى السيدة نفيسة ، وأرسلت تطلبك هناك ، فمضت معه وأخذ معه عبدا أسود ، فلما توجهوا بتلك البنت الى مكان خرب مهجور خلف مزار السيدة نفيسة ألقيا بالبنت فذبحاها هناك ، وحملاها وألقياها فى فسقية موتى هناك وأخذ الكوفية التى على رأسها ، وتركاها تتخبط فى دمائها ، فأقامت هناك يوما وليلة ، فكثر التفتيش عليها من أمها وأبيها ، فنزل أبوها الى السوق ، وأوصى التجار بمراقبة الكوفية الذهبية التى كانت على رأس ابنته ، فاذا رأوها أتوه بها ، فبينما هو فى الصاغة واذا هو بالصبى الأمرد الذى أخذ الكوفية وذبح البنت ، يعرض الكوفية ويشهرها للبيع وباعها بسعر رخيص ، وقبض عليه ، وأحضروا أبا البنت وتوجهوا الى باب الأمير كمشبنا ، فلما عرضوه على الوالى ضربه فأقر

بأنه أخذ الكوفية من فوق رأس البنت ، وأنه ذبحها ورماها فى فسقية موتى خلف مزار السيدة نفيسة ، فقالوا له : امض معنا وأرنا ذلك المكان الذى رميتها فيه فخرج معهم وهو فى الحديد ، وأتى بهم الى تلك الفسقية التى رماها بها ، فنزل أبو البنت اليها فوجدها راقدة وهى مذبوحة وفيها بعض روح ولم ينقطع وريدها من الذبح ، فحملها وطلع بها من تلك الفسقية ، فلما بلغ الأمير ذلك أرسل فأحضر الجميع بين يديه وقصوا عليه قصة الصبى وما جرى له مع البنت فحزن الأمير ، وقال لها : من فعل بك هذا ؟

فأشارت الى الصبى والعبد الأسود الذى على باب البيت الذى تسكن فيه هى ووالدها ، وأحضروا للبنت من ضمد لها جرحها الذى برقبتها وعاشت بعد ذلك وبرأت من الجرح •

وقد ذكر أن البنت ذكرت : (أنه بعد أن ألقيا بها فى الفسقية دخلت على امرأة وعلى وجهها قناع ، وقالت : لا تخافى ، انى أنا السيدة نفيسة وغدا تخلصين من هذا المكان) •

ثم مسحت الدم من رقبتى ، فانقطع فى الحال ، وسكن روعى مما كنت فيه •

وقد انتشر حديث تلك الواقعة واشتهر أمرها فى القاهرة •

٥ ــ قال الامام الشعرانى رحمه الله تعالى : « دخلت أنا لقبر السيدة نفيسة مرة فوقفت على باب مشهدها الأول أدبا ، ودخل أصحابى الى قبرها ، فلما نمت جاءتنى وعلى رأسها مئزر صوف أبيض ، وقالت لى : « أنا نفيسة فاذا جئت للزيارة فادخل الى قبرى فقد أذنت لك » ، فمن ذلك اليوم ، وأنا أدخل لزيارتها وأجلس تجاه وجهها •

ويقول الامام الشعرانى أيضا :

رأيت فى كلام الشيخ أبى المواهب الشاذلى أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « يا محمد اذا كان لك الى الله تعالى حاجة فأنذر لنفيسة الطاهرة ولو بدرهم يقض الله تعالى حاجتك » •

٦ ـــ وعن الشيخ محمد على خلف الحسيبى ، أن جارا له كف بصره وعانى ما عانى وصرف الكثير فى سبيل الشفاء فعجزت عنه نطس الأطباء ، فذهب يوما لزيارة المشهد النفيسى وأخذته سنة من النوم ، فرأى كأن السيدة نفيسة قد دخلت عليه ووضعت شيئا فى عينيه فقام من نومه وقد رجع اليه نور عينيه وزاد ضياؤها وأصبح بصيرا فكان يداوم على زيارتهـــا •

الامام الشافعى بمصر :

يقول الأستاذ الكبير عبد الحليم الجندى فى كتابه عن الامام الشافعى أن الشافعى كان بمكة سنة ١٩٤ عندما ثار أهل تنووتمى (زمام الجيزة وميت غمر الآن) على الوالى حاتم بن هرثمة ، وبعث اليه الأمين جندا بين قوادهم السرى بن الحكم وعبد العزيز بن الجروى فهزموا الثوار ، وفى سنة ١٩٥ ولى مصر جابر بن الأشعث الطائى ، فلما خلع الأمين أخاه المأمون شغب عليه الأمراء والولاة وافترص السرى بن الحكم الفرصة ليبحث لنفسه عن مكان فظهر أمره وظل منذ قدوم الشافعى حتى وفاته مركز الأحداث بمصر ، ولما عين المأمون واليا جديدا صار (السرى) من قواده ، ثم عزل المأمون الوالى سنة ١٩٨ ، وولى معه محمد بن موسى فقدم ابنه عبدالله نائبا عنه سنة١٩٩ ، وكان معه محمد بن ادريس الشافعى ، وتشغب الجند على عبد الله فقطع أرزاقهم فأعادوا الوالى المعزول ، ومات العباس بن موسى ، مسموما ، وثار (الجروى) فى تنيس وعبأ جنده فى مراكب حتى نزل بشـــطنوف فسير اليه الوالى جيشـــا على رأسه (السرى) فأسر السرى فى سنة ١٩٩ ، ثم أطلق الجروى سراحه ليحارب معه ضد الوالى فانتصرا • وخرج الوالى فى البحر الأحمر الى مكة سنة ٢٠٠ ، وولى الجند السرى بن الحكم على مصر ، فسار الجروى الى الاسكندرية واستولى عليها فبقيت معه الاسكندرية وتنيس فأمسى شبه مستقل بمنطقة تدعى مملكة الساحل ، وكان السرى واليا مسيطرا فى الداخل شبه مستقل بالبلاد عن بغداد هو الآخر ، وفى سنة ٢٠٠ احتل الاسكندرية خمسة عشر ألفـــا من أهل قرطبـــة يقال لهم الربضـــيون طردوا من الأندلس لثورة قاموا بها ، فسار اليهم الجروى فى خمسين ألفا •• وخالفه السرى الى حاضرته (تنيس) فانكفأ (الجروى) راجعا من الاسكندرية ، وفتحت الاسكندرية أبوابها لجند السرى فى سنة ٢٠١

وعزله المأمون بوال جديد هزم (السرى) وقبض عليه ونفاه الى أخميم ، وآثر الوالى الجديد بطانته على الخراسانيين فثاروا عليه فهرب وجاء كتاب المأمون لتولية (السرى) فأخرج من الحبس ليعود واليا فى الفسطاط سنة ٢٠١ ، وخطب السرى ود المصريين ، وكان يقدم الشافعى ولا يؤثر أحدا عليه حتى اذا ثبت أقدامه أدار وجهه لأعدائه فأعمل فيهم القتل والصلب والنفى من البلاد ، ولكن اعظامه للشافعى ظل فوق مشاكل الســـاعة •

وحدثت حروب داخلية وخلافات كثيرة والشافعى لا يتدخل فى السياسة وحلقته تضم جوانبها أحيانا على مناقدات الشعراء والفقهاء فلم نسمع أنه تطرق الى خلافات الحكام أو مس ولو بالرأى الحرب التى تدور رحاها قيد خطوات من الجامع العتيق والوالى يكرمه ويعظمه ويستمع الى موعظته « أنظر من يكون صاحبك فانه يحبك أو يبغضك ، وانظر من يكون كاتبك فانه يعبر عن عقلك الظاهر الى الناس وعف عن أموال الناس يكثر شكرهم لك واياك والانبساط الى رعيتك فتذهب بذلك هيبتك » •

ولما هبط الامام الشافعى أرض مصر ومعه تلميذه أبو بكر الحميدى وسأله بعض الأكابر أن ينزل عنده فقال : أريد أن أنزل عند أخوالى من الأزد (قبيلة أمه) ، فذلك درس فى الوفاء تعلمه على النبى صلى الله عليه وسلم عندما هاجر الى المدينة فنزل عند أخواله بنى النجار وقصد الشافعى بعد ذلك هاجر دار عبد الله بن الحكم وربما توشجت بينه وبين ضيفه الصلات فى ابان دراسات عبد الله على مالك وسفيان •

وقد قال له عبد الله : « اذا أردت أن تسكن مصر فليكن لك قوت سنة ومجلس من السلطان تتعزز به » •

قال : « يا أبا محمد من لم تعزه الدنيا فلا عز له ، وقد ولدت بغزة وربيت بالحجاز ، وما عندنا قوت ليلة وما بتنا جياعا قط » •

عنيت بهذه المقدمة عن الامام الشافعى لأن كل زملاءه ومريديه والذين رووا عنه هم فى الحقيقة من الذين كانوا يكثرون من زيارة السيدة نفيسة رضى الله عنها ويلتمسون منها البركة ، وحين اتجه الامام الى مصر أنشد يقـــول :

لقد أصبحت نفسى تتوق الى مصر ومن دونها قطع المهـامه والقفر
ووالله ما أدرى الى الفوز والغنى أساق اليها أم أساق الى قبرى

وكان رحمه الله موغور العلم غزير المـادة ، وكانت حافظته القوية خزانة لشتى المعارف التى كانت سائدة فى عصره الى زلاقة فى اللسان وعذوبة فى البيان وقوة فى المنطق والبرهان ، وكان يلذ له أن يناظر العلماء لثقته فى نفسه وايقانه بالغلبة والنصر ولعلمه أن المناظرات محك العلم ومختبر الصحيح والسقيم به •

ووفد الامام الى مصر وتم التعارف بينه وبين السيدة نفيسة رضى الله عنها ، وتوثقت بينهما الصلات ، وقد ربط بينهما نزوع الى خدمة العقيدة الاسلامية وحرص على رفع منارها كل بطريقته وأسلوبه ، وانه لهدف مشترك لمثله تتقارب القلوب الصافية وتتلاقى الجهود المتفرقة المخلصة ، وكانت دار السيدة كريمة الدارين بمثابة الجزيرة المطمئنة القائمة وسط بحر صاخب متلاطم الأمواج •

وقد اعتاد أن يزورها وهو فى طريقه الى حلقات درسه فى مسجد الفسطاط وفى طريق عودته الى داره ، وفى غير ذلك من الأوقات ، وكان يصلى بها التراويح فى مسجدها فى شهر رمضان الكريم ، وكان من عادته اذا ذهب لزيارتها صحبه بعض أصحابه ، ومع جلال قدر الامام الشافعى وعلو درجته ، فانه كان اذا ذهب اليها سألها الدعاء ملتمسا بركاتها ، وقد سمع عليها حديث جدها المصطفى عليه السلام واذا أصابه مرض جعله يتخلف عن زيارتها أرسل اليها رسولا من تلاميذه كالربيع الجيزى أو غيره فيقرئها سلامه ويقول لها : « ان ابن عمك الشافعى مريض ويسألك الدعاء » فترفع بطرفها الى السماء وتدعو له فلا يرجع رسوله الا وقد عوفى الامام من مرضه وأبل من شكاته ، ولمـا مرض مرضه الذى مات فيه أرسل لها على جارى عادته يلتمس منها الدعاء فقالت للقاصد متعه الله بالنظر الى وجهه الكريم ، وسأله الامام الشافعى ماذا قالت له السيدة نفيسة رضى الله عنها ؟ فقال له ما قالت فعلم أنه ميت ، وأوصى أن تصلى عليه ، فلما توفى سنة أربع ومائتين مروا به على بيتها فصلت عليه مأمومة ، وكان الذى صلى بها اماما أبو يعقوب البويطى أحد أصحابه رضى الله عنه ، وكان مرور جنازة الامام الشافعى على

بيتها بأمر السرى أمير مصر لأنها سألته فى ذلك انفاذا لوصية الامام الشافعى رضى الله عنه لأنها لم تتمكن من الخروج الى جنازته لضعفها من كثرة العبادة وقد قال بعض الصالحين ممن حضر جنازة الشافعى رضى الله عنه « سمعت بعد انقضاء الصلاتين أن الله تعالى غفر لكل من صلى على الشافعى بالشافعى ، وغفر للشافعى بصلاة السيدة نفيسة عليه رضى الله تعالى عنهما » .

وجاء ذكر الشافعى بعد وفاته فى مجلس فقالت السيدة نفيسة تمتدحه وتترحم عليه « رحم الله الشافعى فقد كان رجلا يحسن الوضوء » ، وقالت عنه أيضا « كان الامام الشافعى صبورا بكل ما فى الصبر من معنى يتلقى الشدائد بقلب ثابت ، ويسعى هادئا ليزيل ما ألم به معتمدا على الله حق الاعتماد ومتوكلا عليه حق التوكل . شاكرا ما ابتلاه ضارعا أن يكشف عنه الضر مستبشرا بأجر من عند الله بقدر ما يتحمل من آلام ، ويظل هكذا دون أدنى ضجر أو ملل حتى يزيل الله ما نزل به وحينئذ يصلى لله شاكرا فهو عند الابتلاء كان شكورا وعند دفع الضر كان من الشاكرين » .

علماء حول كريمة الدارين :

وكان يزورها ويسأل دعاءها وحديثها وقراءتها ويلتمس بركتها الامام عثمان بن سعيد المصرى ، وكذلك الشيخ أبو الفيض ثوبان بن ابراهيم ذو النون المصرى وهو من كبار الصوفية . ومن كلامه : « اياك أن تكون للمعرفة مدعيا أو بالزهد محترفا ، أو بالعبادة متملقا ، وفر من كل شىء الى ربك » .

وكان يقول للعلماء : « أدركنا الناس وأحدهم كلما ازداد علما ازداد فى الدنيا زهدا وبغضا . وأنتم اليوم كلما ازداد أحدكم علما ازداد فى الدنيا حبا وطلبا ومزاحمة ، وأدركناهم وهم ينفقون الأموال فى تحصيل العلم وأنتم اليوم تنفقون العلم فى تحصيل المال » .

وكان يقول : « كل مدع محجوب بدعواه ، عن شهود الحق لأن الحق شاهد لأهل الحق بأن الله تعالى هو الحق ، وقوله الحق ، ومن كان الحق

تعالى شاهدا له لا يحتاج مدعيا فالدعوى علامة على الحجاب عن الحق والسلام » •

وكان يقول : « لكل شيء علامة وعلامة طرد العارف عن حضرة الله تعالى انقطاعه عن ذكر الله عز وجل » •

وقال رضى الله عنه : « اذا تكامل حزن المحزون لم تجد له دمعة لأن القلب اذا رق سلا واذا جمد وغلظ سخا » •

وكان يقول : « من لم يفتش عن الرغيفين من الحلال لا يفلح فى طريق الله عز وجل » •

ويقول : « قد غلب على العباد والنساك والقراء فى هذا الزمن التهاون بالذنوب حتى غرقوا فى شهوة بطونهم وفروجهم وحجبوا عن شهود عيوبهم فهلكوا وهم لا يشعرون ، أقبلوا على أكل الحرام وتركوا طلب الحلال ، ورضوا من العمل بالعلم يستحى أحدهم أن يقول فيما لا يعلم : لا أعلم • هم عبيد الدنيا لا علماء الشريعة اذ لو علموا بالشريعة لمنعتهم من القبائح ان سألوا ألحوا وان سئلوا شحوا لبسوا الثياب على قلوب الذئاب ، اتخذوا مساجد الله التى يذكر فيها اسمه لرفع أصواتهم باللغو والجدال ، والقيل والقال ، واتخذوا العلم شبكة يصطادون بها الدنيا فاياكم ومجالسهم » •

وسئل رضى الله عنه عن الحديث : لم لا تشتغل به ؟

فقال : « للحديث رجال وشغلى بنفسى استغرق وقتى والحديث من أركان الدين ولولا نقص دخل على أهل الحديث والفقه لكانوا أفضل الناس فى زمانهم ألا تراهم بذلوا علمهم لأهل الدنيا يستجلبون به دنياهم ، فحجبوهم واستكبروا عليهم وافتتنوا بالدنيا لما رأوا من حرص أهل العلم والمتفقهين عليها فخانوا الله ورسوله وصار اثم كل من تبعهم فى عنقهم ، جعلوا العلم فخا للدنيا وسلاحا يكسبونها به بعد أن كان سراجا للدين يستضاء به » •

وقد استمر ذو النون يزورها فى حياتها ويزور قبرها بعد وفاتها الى أن توفى سنة ٢٤٥ ٠

وكذلك كان الفقيه الامام عبد الله بن عبد الحكم من جلة أصحاب مالك وقد أفضت اليه رياسة المالكية بعد أشهب وقد بلغ هو وبنوه من الجاه والتقدم ما لم يبلغه أحد وكان صديقا للامام الشافعى كما سبق أن بينا ، وكما قلت نزل الامام الشافعى وكتب كتبه بنفسه وله مؤلفات بره وروى كثيرا عن الامام الشافعى وكتب كتبه بنفسه وله مؤلفات عــدة ٠

وكان لا ينقطع عن زيارة كريمة الدارين فى حياتها ولا عن زيارة قبرها بعد وفاتها ، وقد سمع عليها الحديث واستفاد كثيرا من آثارها وأخبارها ٠

وممن زارها فى حياتها وعرف حق زيارة قبرها بعد موتها أبو سعيد سحنون بن سعيد الفقيه المالكى واسمه عبد السلام وغلب عليه سحنون باسم طائر حديد النظر لحدته فى المسائل ٠

وأصله من حمص ورحل الى مصر فسمع فيها من ابن القاسم وابن وهب وأشهب وغيرهم ، وقد رحل كثيرا وهو صاحب المدونة ، مفتى القيروان وقاضيه وأول من أظهر علم المدينة بالمغرب وقد اجتمعت فيه خصال قلما اجتمعت فى غيره من فقه بارع وورع صادق وصرامة فى الحق وزهد فى الدنيا وخشونة فى الملبس والمطعم وسماحة فى العطاء وكان لا يقبل من أحد شيئا سلطانا أم غيره ولا يهاب سلطانا فى حق يقوله ، سليم الصدر للمؤمنين ، شديد على أهل البدع ٠ انتشرت أمانته وأجمع أهل عصره على تقدمه وفضله وكان مع هذا رقيق القلب غزير الدمعة ظاهر الخشوع متواضعا ، قليل التصنع كريم الخلق حسن الأدب فكان سراج القيروان ، وكان كلامه لله وصمته لله ، اذا أعجبه الكلام صمت واذا أعجبه الصمت تكلم وقد راوده الأمير أبو العباس أحمد بن الأغلب، حولا كاملا على أن يوليه القضاء فأبى عليه فعزم عليه بالأيمان التى لا يخرج منها ، فلما رأى ذلك سحنون اشترط على الأمير شروطا كثيرة فأعطاه كل ما سأل وأطلق يده فى كل ما دعاه اليه

حتى قال له انى أبدأ بأهل بيتك وقرابتك وأعوانك فان فيكم ظلامات للناس منذ زمان طويل ، فقال له الأمير نعم لا تبتدىء الا بهم ، وأجر الحق على مفرق رأسى فتولى القضاء بهذه الشروط فى رمضان سنة أربع وثلاثين وقام قاضيا ستة أعوام لم يأخذ على قضائه شيئا .

ويوم أن قبل القضـــاء دخل على ابنته خديجة وكانت من الخيرات فقال لها اليوم ذبح أبوك بغير سكين .

والربيع بن سليمان المرادى الفقيه المصرى ، من الذين انتفعوا بحديث كريمة الدارين ، وهو من أصحاب الامام الشافعى وراوية كتبه وكان اماما ثقة صاحب حلقة بمصر .

وقد قال فيه الامام الشافعى : ما فى القوم أنفع لى منه ولقد وددت أنى حسوته العلم .

وقال عنه أيضا (الربيع راويتى) وهو أول من أملى الحديث فى جامع ابن طولون فى مدينة القطائع التى أنشأها أحمد بن طولون .

والربيع الجيزى ، صاحب الامام الشافعى من زائريها والموالين لزيارة ضريحها بعد وفاتها ، وكان رجلا صالحا كثير الحديث مأمونا ثقـــة .

وقال أبو عمر الكندى فى الموالى كان فقيها دينا .

وابو ابراهيم اســـماعيل بن يحيى المزنى ، من العلماء الذين داوموا على زيارتها فى حياتها ملتمسا دعواتها وبعد مماتها مستنزل بركاتها ، وكان فقيها عالما راجح المعرفة جليل القدر فى النظر عارفا بوجوه الكلام والجدل وحسن البيان مقدما فى مذهب الشافعى وقوله وحفظه واتقانه وله كتب كثيرة فى مذهب امامه انتشرت فى أقطار الأرض شرقا وغربا ، وكان تقيا ورعا صبورا وكان مجاب الدعوة ، وقال الامام الشافعى عنه (المزنى ناصر مذهبى) .

وحرملة بن يحيى التجيبى ؛ ويكنى أبا حفص . ويقال : ان الامام الشافعى نزل عنده ، هو أيضا من زائريها فى حياتها وزائرى مقامها بعد موتها ، وكان جليلا نبيل القدر .

وقد روى عن الشـــافعى من الكتب ما لم يروه الربيع منها كتاب الشروط وكتاب السنن وغيرهما ؛ وكان اماما حافظا للحديث والفقه .

وكذلك ممن أوفى لها فى حياتها وبعد موتها طالبا دعواتها وراجيا بركاتها أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطى ؛ وكان كبير السن جليل القدر استخلفه الشـــافعى فى حلقته وكان يقول : « ليس أحد أحق بمجلسى من أبى يعقوب » ، وليس أحد من أصحابى أعلم منه .

وكان عالما فقيها لطيفا فى أسبابه يدنى الغرباء ويقربهم اذا قدموا للطلب ويعرفهم فضل الشافعى وفضل كتبه حتى كثر الطالبون لمذهبه وكتبه وكان ابن أبى الليث الحنفى قاضى مصر يحسده ويعاديه فأخرجه فى وقت المحنة فى القرآن فيمن أخرج من أهل مصر الى بغداد . ولم يخرج من أصحاب الشافعى غيره ، فحمل الى بغداد مع جماعة آخرين من العلماء فأركبوه على بغلة مغلولا مسلسلا فى أربعين رطلا من حديد ، ويريدون بذلك منه القول بخلق القرآن فأبى فحبسوه فى السجن ببغداد على تلك الحالة .

وكان فى كل جمعة يمشى اذا سمع النداء الى باب السجن فيقول له السجان الى أين ؟ فيقول له : انى أجيب داعى الله ، فيقول السجان : ارجع رحمك الله ، فيقول : انى أجبت دعوتك ربى فمنعونى ، ومازال هذا شأنه الى أن توفى فى رجب فى يوم الجمعة قبل الصلاة سنة احدى وثلاثين ومائتين .

وأبو موسى بن عبد الأعلى الصدفى الذى قال فيه الامام الشافعى (ما رأيت بمصر أعقل من يونس) ممن زاروا كريمة الدارين وداوم على زيارتها بعد وفاتها .

وكان جليلا ونبيلا من أهل الفقه والقرآن والحديث ، أدرك سفيان

ابن عيينه وكتب عنه وكان اماما فى القراءات ، قال أبو عمر الكندى : كان فقيرا شديد التقشف مقبولا عند القضاة .

وقال يحيى بن حسان « يونسكم هذا من أركان الاسلام » وكان ورعا صالحا عابدا كبير الشأن .

ولم تكن السيدة نفيسة قد التقت بالامام أحمد بن حنبل ، ولو أنها سمعت عنه ، عالما جليلا ، انفرد بمذهب خاص له فى الفقه الاسلامى . كذلك الامام أحمد لم يكن قد رأى كريمة الدارين من قبل ، ولو أنه لاشك قد سمع بصلاحها ، وألم بمظاهر تقواها ، ولكن حدث أن بشر ابن الحارث ، وكان من كبار الخاصة الذين يترددون على دار السيدة كريمة الدارين ، ويعقدون معها فيها مجالس علم ، انقطع عن زيارتها ، فلما سألت عنه ، وعلمت بمرضه ، ذهبت تعوده فى داره ، وهناك وجدت الامام أحمد بن حنبل ، فسأل الامام أحمد صاحب الدار عمن تكون هذه السيدة ، فلما عرف أنها هى السيدة نفيسة أحسن تحيتها ، وطلب من بشر أن يسألها لهما صالح الدعوات ، وهذا الطلب يدل على علمه بمقامها الروحى العظيم ، وبدعائها المستجاب ، وما كان للسيدة الكريمة أن تخيب رجاءهما وهى التى ما اعتادت أن تخيب لأحد عن عامة قاصديها رجاء بل استجابت لهما ودعت قائلة : « اللهم ان بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل يستجيران بك من النار فأجرهما يا أرحم الراحمين » .

وأى دعاء أفضل من هذا ؟ ان النجاة من النار هى الأمنية الأولى لكل مسلم ، وهى مفتاح باب الجنة ، وبعد أن دعت لهما دعاءها هذا طلبت اليهما أن يدعوا لها فوافقا وتقول فى ذلك السيدة نفيسة رضى الله عنها : « لقد نعمت بمعرفة الأخ فى الله الامام أحمد بن حنبل حينما كان عند صديقه بشر بن الحارث وهو على جانب عظيم من العلم والمعرفة وعلو القدر عند الله ، وقد استجبت لطلبهما ، ودعوت لهما ، كما طلبت اليهما أن يدعوا لى ، فكان ذلك ، والله خير مجيب » .

هؤلاء هم العلماء ورجال الدين الذين زاروا السيدة الطاهرة كريمة الدارين فى حياتها ، أما من زار المقام النفيسى بعد وفاتها من الأئمة

والأعلام والأولياء الكرام فكثير ما هم ، وما يزال المقام النفيسى مقاما لاجابة الدعوات ، واستنزال الرحمات على أننى شخصيا أحب الصلاة فى هذا المسجد الطاهر ، وهذه البقعة المباركة وأنا أدخل المسجد موقنا أن الله سبحانه وتعالى العلى القدير سيجيب دعائى ، لأن هذا المقام الطاهر لياذ من البأساء والضراء ، وزيارته مظهر من مظاهر المودة لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم (قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى) فممن كانوا يرعون حق زيارتها بعد وفاتها ويستمرون على زيارة قبرها : أبو على الروزبارى ، محمد بن أحمد بن القاسم البغدادى ، الزاهد نزيل مصر وشيخها . صحب الجنيد ، وجماعة من العلماء والصوفية ، وأبو بكر أحمد بن نصر الرقاق ، وبنان الجمال بن محمد بن حمدان أبو الحسن الزاهد (نزيل مصر وشيخها ، كان ذا منزلة عظيمة فى النفوس ، وكانوا يضربون بعبادته المثل) ، وبكار بن قتيبة الثقفى .

والامام الطحاوى أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدى الطحاوى الحنفى وهو العلامة الحافظ انتهت اليه رياسة أصحاب أبى حنيفة بمصر ، وكان أولا شافعيا فقرأ على خاله المزنى فقال : والله لا جاء منك شىء ، فغضب من ذلك ، وأخذ عن أبى جعفر بن أبى عمران ، فلما صنف مختصره ، قال : رحم الله أبا ابراهيم لو كان حيا لكفر عن يمينه ، وقد ناب فى القضاء عن أبى عبيد الله محمد بن عبده ، وله مؤلفات عدة .

وأبو بكر محمد بن أحمد بن جعفر الكنانى المصرى المشهور بابن الحداد وكان اماما مدققا فى العلوم ، وكان كثير العبادة ، يصوم يوما ويفطر يوما ، ويختم فى كل يوم وليلة جميع القرآن ، ويختم فى يوم الجمعة فى الجامع قبل الصلاة ختمة أخرى فى ركعتين ، وقد أخذ الفقه عن جماعة منهم المنصور التميمى ، ومحمد بن حرب .

وحمزة بن محمد بن العباس أبو القاسم الكنانى المصرى ، وكان صالحا دينا ، بصيرا بالحديث وعلله مقدما فيه ، ولم يكن فى المصريين فى زمانه أحفظ منه ، وعبد المنعم بن عبد الله بن غلبون بن المبارك أبو الطيب الحلبى نزيل مصر ، أستاذ ماهر كبير كامل ثقة خير صالح

دين ؛ ولد بحلب فى رجب سنة تسع وثلاثمائة ، وانتقل الى مصر فسكنها وألف كتابه : « الارشـــاد فى السمع » روى القراءة عرضا وسماعا عن ابراهيم بن عبد الرازق والحسين بن خالويه وغيرهما ، وعرض عليه أبنه وكثير من علمـــاء القراءات ، وكان حافظا القراءة ، ضابطا ذا عفاف ونسك وفضل وحسن تصنيف ووجد بخطه على بعض مؤلفاته :

صـــنفت ذا العـــلم أبغى الفـــوز مجتهـــدا
لـــكى أكون مع الأبـــرار والســــــــعدا

فى جنـــــة فى جــــــوار الله خالقنـــــــا
فى ظـــــل عيش مقـــــيم دائم أبــــــــدا

وعبد الغنى بن سعيد الأزدى ، المصرى السمرقندى ، وكان ثقة صاحب سنة حافظا علامة ، وكان الدارقطنى يفخم أمره ويرفع قدره ، خرج جماعة من مصر يـــودعون الدارقطنى ويبكون لفراقه فقـــال : « أتبكون وعندكم عبد الغنى وفيـــه الخلف » ، وقد انتفع به خلق كثير •

ومحمد بن على بن أحمد الامام أبو بكر الادفوى المصرى وكان متمكنا من اللغة العربية بصير بالمعانى ، كما برع فى علوم القرآن وكان سيد أهل عصره بمصر ، وله كتاب التفسير فى مائة وعشرين مجلدا سماه الاستفتاء فى علوم القرآن ، وقد ألفه فى اثنتى عشرة سنة •

والحوفى أبو الحسن على بن ابراهيم بن سعيد صـــاحب اعراب القرآن فى عشرة مجلدات ، كان اماما فى العربية والنحو والأدب ، وله تصانيف كثيرة ، والقضـــاعى القاضى أبو عبد الله محمد بن سلامة المصرى ، الفقيه الشافعى قاضى الديار المصرية ، وله مؤلفات عدة •

والحبال الحافظ الامام المتفنن محدث مصر أبو اسحاق ابراهيم ابن سعيد بن عبد الله النعمانى ، ونصر بن عبد العزيز أبو الحسن

الفارسى الشيرازى وهو شيخ محقق امام مسند ثقة عدل ؛ له كتاب الجامع فى القراءات العشر ، ويحيى بن على أبو الحسين المصرى ويعرف بابن الخشاب ، وأحمد بن عبد الله بن أحمد بن هشام أبو العباس اللخمى الفاسى ، وغير هؤلاء كثير ، وقد ذكر منهم ممن زاروها فى حياتها ، وبعد وفاتها ، جمهرة من الصالحين والعلماء ، والى اليوم يوالى زيارة مقامها الكثير من العلماء والعباد الصـالحين من من لا يحصيهم الا الله تعـالى •

واقعة أحمد بن طولون :

ذكر القرمانى فى تاريخه وصاحب الغرر وصاحب المستطرف :

أنه لما ظلم أحمد بن طولون استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا الى السيدة نفيسة يشكونه اليها فقالت لهم : متى يركب ؟ قالوا : فى غد ، فكتبت رقعة ووقفت فى طريقه ، وقالت : (يا أحمد يا بن طولون) فلما رآها عرفها فنزل عن فرسه وأخذ منها الرقعة وقرأها فاذا فيها : «ملكتم فأسرتم ، وقدرتم فقهرتم ، وخولتم ففسقتم وردت اليكم الأرزاق فقطعتم ، هذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة غير مخطئة لاسيما من قلوب أوجعتموها ، وأكباد جوعتموها ، وأجسـاد عريتموها فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم ، اعملوا ما شـئتم فانا صابرون ، وجوروا فانا بالله مستجيرون ، واظلموا فانا الى الله متظلمون ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » قال : فعدل لوقته •

وهذه الواقعة مردود عليها :

أولا — أن ظهور الدولة الطولونية التى أولها أحمد بن طولون كان فى سنة أربع وخمسين ومائتين كما فى تاريخ الاسحاقى ، وسنة خمسين ومائتين على ما فى تاريخ القرمانى ، ووفاة السيدة نفيسة كانت فى رمضان سنة ثمان ومائتين باتفاق ، ويعلم ذلك بمراجعة كتب التواريخ •

ثانيا : أن السيدة نفيسة رضى الله عنها كريمة الدارين سيدة طاهرة نقية

بحيث لا يتوهم غبى غافل فضلا عن فطن عاقل أنها تذهب الى أحمد ابن طولون ، وتقف بالطريق تنتظره ليمر بها[1] .

ولكن يمكن أن تغير الأسماء والظروف .. ونردها الى شكوى بعض الناس من حاكم فى عهد السيدة نفيســـة .. فاستدعته الى دارها ، وأوضحت له طريق الحق والعدل ، فعاد الى السير فى الخط المحمدى ، وذلك نظرا الى أن مجلس السيدة نفيسة كان يفد عليه العلماء وراغبو العلم ، ولابد أيضا أن تثور قضايا الحياة فى المجلس النفيسى ، ولابد أن يكون لها دور فى عمل كل ما هو خير ، ومحاولة تغيير كل ما هو غير صالح[2] .

ويوافقنى الأخ محمد شاهين حمزة على أن هناك اختلافا كبيرا فى ايراد هذه القصة ، كما يذكر أن ابن طولون كان يعبد الله حق عبادته حين يكون منفردا ، ولكن كانت تأخذه العزة بالاثم حين يباشر سلطاته فى أمور الناس حتى ضجت الرعية مما وقع عليها من ظلم ، وتلقاء تعبده وجده بحق أشفق عليه من مغبة معاملته للناس فأرشد وحيا وهو فى حلم كاليقظة الى أن يعدل ، وذكر بما ورد عن ذلك فى القرآن الكريم والحديث الشريف فأصاخ الى ما أرشد اليه وأطاع ، وحكم بالعدل بعد ذلك ، ثم أغرق فى عبادة الله حتى لقى ربه وهو من المقبولين .

كريمة الدارين تحفر قبرها فى دارها :

استقرت السيدة نفيسة رضى الله عنها فى الدار التى وهبها لها أمير مصر « السرى بن الحكم » فى خلافة المأمون العباسى . وانتقلت اليها سنة احدى ومائتين فى ولايته الثانية ، وقد سارع الى أخذ البيعة بعد المأمون لولى عهده على بن موسى بن جعفر بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، وقد سماه المأمون بالرضا ، وقد مات السرى بالفسطاط .

---

(١) هذه القصة نشرت فى بعض الكتب ، كما نشرت فى مجلة العربى فى العدد ٩٠ (١١ محرم سنة ١٣٨٦) .

(٢) نفيسة العلم والمعرفة (للاستاذ صلاح عزام) .

ويقول العلامة الأجهورى رحمه الله :

ان السيدة نفيسة رضى الله عنها حفرت قبرها الشريف بيدها ، أى أمرت ببنائه فى حال صحتها لشدة شوقها للقاء خالقها وعدم رغبتها فى الدنيا الفانيه وزينتها وكانت عليها سحائب الغفران ، تنزل فيه للتعبد والتذكر بالدار الآخرة ، وكانت تصلى فيه النوافل العديدة حتى قيل أنها قرأت فيه ستة آلاف ختمة ووهبت ثوابها لأموات المسلمين بخلاف ما كانت عليه من التعبدات .

قالت زينب بنت أخيها :

« تألمت عمتى فى أول يوم من رجب ، وكتبت الى زوجها اسحاق المؤتمن كتابا ، وكان غائبا بالمدينة ، تطلب اليه فيه المجىء اليها وموافاتها لاحساسها بدنو أجلها وفراقها لدنياها واقبالها على أخراها ، وما زالت متوعكة الى أن كان أول جمعة من شهر رمضان فزاد عليها الألم وهى صائمة ، فدخل عليها الأطباء ، فأشاروا عليها بالافطار لحفظ قوتها ولتتغلب على مرضها وضعفها ، فقالت :

« واعجباه ، ان لى ثلاثين سنة وأنا أسأل الله عز وجل أن يتوفانى وأنا صائمة أفأفطر ، معاذ الله تعالى » .

ثم أنشدت تقول :

اصرفوا عني طبيبى	ودعونى وحبيبى
زاد بى شوقى اليه	وغرامى فى لهيب
طاب هتكى فى هواه	بين واش ورقيب
لا أبالى بفوات	حيث قد صار نصيبى
ليس من لام بعذل	عنه فيه بمصيب
جسدى راض بسقمى	وجفونى بنحيبى

فانصرف الأطباء وهم معجبون بقوة يقينها وثبات دينهـا ، وسألوها الدعاء ، فقالت لهم خيرا ودعت لهم .

قالت زينب :

« ثم انها بقيت كذلك وقد أفترها الداء الى العشر الأواسط من شهر رمضان فاشـتد بها المرض واحتضرت ، فاسـتفتحت بقراءة سورة الأنعام ، فلا زالت تقرأ الى أن وصلت الى قوله تعالى (**قل لله كتب على نفسه الرحمة**) ففاضت روحها الكريمة . وقيل : انها قرأت : (**لهم دار السـلام عند ربهم وهـو وليهم بمـا كانوا يعملـون**) فغشى عليهـا »

قالت زينب :

« فضممتها الى صدرى ، فاذا بها تشهد شهادة الحق ، وقبضت ، واختارها الله لجواره ، ونقلها الى دار كرامته ، وكان ذلك فى سنة ثمان ومائتين ، وذلك بعد موت الامام الشافعى بأربع سنين » رحمهم الله جميعـا .

وما أحسن ما قال بعضهم فى خروج روحها رضوان الله عليها :

روح دعاها بالوصـال حبيبها ... فأتت اليـه مطيبـة ومجيبه
يا مدعى صـدق المحبة هكذا ... صدق المحب اذا دعاه حبيبه

وقد أوصت السيدة نفيسة رضى الله عنها أن لا يتولى أمرها غير بعلها ، وكان مسافرا ، فلما ماتت قدم فى ذلك اليوم وهيأ لها زوجها تابوتا وقال : انى لا أدفنها الا بالبقيع عند جدها المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فتعلق به أهل مصر ، وسألوه بالله عز وجل أن يدفنها عندهم ، فأبى .

فاجتمعوا وذهبوا الى عبيد الله بن السرى ، أمير مصر ، وتوسلوا

به الى اسحاق بأن يدفنها عندهم . وأن يرجع عن عزمه . وخاصة أنها حفرت قبرها بيدها فى دارها .

فسأله الأمير فى ذلك ؛ وقال له : « بالله لا تحرمنا من مشاهدة قبرها ، فانا كنا اذا نزل بنا أمر جئنا اليها فى دارها فى حياتها نسألها الدعاء ، فما تنتهى من دعائها الا وقد كشف الله عنا ما نزل بنا . فدعها لتكون فى أرضنا ، فاذا نزل بنا أمر جئنا الى قبرها فسألنا الله تعالى عنده » . فأصر على نقلها ولم يرض ماطلبه القوم وماعرضه الوالى .

فجمعوا له مالا جزيلا وسق بعيره الذى وفد عليه ، وسألوه البقاء فأبى ، فباتوا فى ألم عظيم وهم مقيم ؛ وقد تركوا المال عنده . فلما أصبحوا جاءوا اليه فوجدوا منه مالم يروه من قبل . فانه أجابهم عن طيب خاطر الى دفنها عندهم ، ورد عليهم مالهم . فسألوه عن ذلك . فقال :

« رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ؛ وقال لى يا اسحاق ، رد على الناس أموالهم وادفنها عندهم » .

ففرح القوم وأخذوا يكبرون .

ولما توفيت اجتمع الناس من القرى والبلدان ، وأوقدوا الشموع تلك الليلة وسمع البكاء عليها من كل دار بمصر وعظم الأسف والحزن عليها ، وصلى عليها بمشهد حافل ودفنت بالمكان الذى حفرته .

وكان يوم دفنها يوما مشهودا ، ازدحم فيه الناس ازدحاما شديدا وأخذوا يزورون قبرها ويأتون اليه من بلاد متعددة يصلون ويذكرون ويدعون .

وقد كانت وفاة السيدة الصالحة كريمة الدارين فى عهد ولاية عبد الله ابن السرى بن الحكم الذى بايعه الجند فى يوم ٩ شعبان سنة ستة ومائتين فى اليوم التالى لوفاة أخيه محمد بن السرى أمير مصر .

وكان السرى وبنوه الأمراء يبجلون السيدة نفيسة رضى الله عنها ويعظمونها فأمر عبد الله بأن يبنى لها مقام على قبرها اعلاما لعلو شأنها وآية على رفعة قدرها واظهارا لجلالها . وكان بناء ذلك المقام عقب وفاتها سـنة ثمان ومائتين ، وفى ولاية الحـافظ لدين الله أبى الميمون عبد المجيد بن الأمير أبى القاسم محمد بن الخليفة المستنصر بالله الذى ولى الخلافة سنة أربع وعشرين وخمسمائة ومكث فى خلافته الى سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، وقد أمر ببناء قبة على قبرها الشريف وببناء مدفن للفاطميين بجوارها من الجهة الغربية .

وقد أخذ الكثيرون فى بناء القبور لهم ولذويهم حول ضريح السيدة نفيسة رضى الله عنها تبركا بجوارها .

وكان مكتوبا على باب المقام هذان البيتان وهما من قول الامام الشافعى ، رضى الله عنه :

يا آل بيت رسول الله حبكمو فرض من الله فى القرآن أنزله

يكفيكموا من عظيم القـدر أنكمو من لم يصل عليكم لا صلاة له

عندما تزور المقام النفيسى :

وجب على من يزور مقام كريمة الدارين السيدة نفيسة رضى الله عنها أن يبدأ بصلاة ركعتين لله تعالى تحية لمسجدها ، ثم يتجه الى ضريحها فى خشوع ، قال أبو موسى :-« دخلت الى ضريحها فوضعت يدى على الضريح . فسمعت قائلا يقول : أهكذا تدخل على بيت أهل النبوة » .

ثم يقول الزائر عنـد دخوله من باب الضريح[1] : « رحمة الله

---

(١) كان الصحابة رضى الله عنهم ، اذا جاءوا قبر النبى صلى الله عليه وسلم سلموا عليه واستقبلوا القبلة ودعوا الله بما شاءوا .

وكذلك يفعل الذين أنار الله بصائرهم فى زيارة الأولياء ، ويقول الله سبحانه وتعالى : (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) .

وبركاته عليكم أهل البيت ، انه حميد مجيد . اللهم انك قد ندبتنى الى أمر قد فهمته واعتقدته وجعلته أجرا لنبيك محمد صلى الله عليه وسلم . الذى هديتنا به اليك ودللتنا به عليك . فكان كما قلت : وكان بالمؤمنين رحيما) حبيبا اليه ما هديتنا عزيزا عليـــه ما عنتنا . وتلك الفريضـــة التى سألتها له وهى المودة فى القربى . اللهم انى مؤديها مريد انتفع بها فى دينى ودنياى متوسل اليك بها يوم انقطاع الأسباب اللهم زدهم شرفا وتعظيما ، وهب لنا بزيارتهم مغفرة وأجرا عظيما .

السلام عليكم يا بنى المصطفى . يابنى فاطمة الزهراء . السلام عليك يا نفيسة العلم ، يا كريمة الدارين وجناح الرحمة . السلام على آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمعين . اللهم صلى على محمد وآل بيت محمد وعلى أصحاب محمد وعلى أزواج محمد وعلى ذرية محمد ، وسلم تسليما ، اللهم بلغنى ما أملت وما رجوت وأعد على وعلى المسلمين من بركاتهم ونفخاتهم يارب العالمين » .

وسلام على عباده الذين اصطفى . والحمد لله رب العالمين .

وقال الموفق بن عتمان :

« كان بعض السلف يزور السيدة نفيسة ، رضى الله عنها . فيقول عند ضريحها : السلام والتحية والاكرام والرضى من العلى الأعلى على السيدة نفيسة ، سلالة نبى الرحمة ، وشفيع الأمة ، من أبوها علم العترة وهو الامام حيدرة ، السـلام عليك يـا بنت الامام الحسن المسموم ، أخى الامام الحسين المظلوم ، السلام عليك يا بنت فاطمة الزهراء ، وسلالة خديجة الكبرى ، رضى الله عنك وعن أبيك وعمك وجدك ، وحشرنا الله فى زمرتهم أجمعين ، اللهم بحق ما كان بينك وبين

= ولذلك لايجوز ان نتخذ جواز الوسيلة وحصول الشفاعة بالمبالغة فى الطواف حول الأضرحة والتوســل بها الى قضاء الحاجات بل تتجه الى القبلة وندعو الله فى هذا المكان الطاهر .

قال النبى صلى الله عليه وسلم : أربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟

فأنزل الله سبحانه وتعالى : (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان) .

جدها محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج اجعل لنا من أمرنا الذى نزل بنا باب انفراج واقضى حوائجى (فان كانوا جماعة ، يقولون واقض حوائجنا) فى الدنيا والآخرة بمحمد وآله وصحبه أجمعين .

وكان بعضهم يدعو بدعاء آخر فيقول :

السلام والتحية والاكرام ، على أهل بيت النبوة والرسالة الكرام ، السلام والرحمة على نفيسة بنت الحسن الأنور بن زيد الأبلج ابن الحسن السبط بن على وابن فاطمة الزهراء رضى الله عنهم .

أنتم غياث لكل قوم فى اليقظة والنوم ، فلا يحرم فضلكم الا محروم ولا يطرد عن بابكم الا مطرود ، ولايواليكم الا مؤمن تقى ، ولايعاديكم الامنافق شقى ، اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله وأعطنى خير ما رجوت بهم وبلغنى خير ما أملت فيهم ، يا آل بيت المصطفى ، انما السرور والسلام فيكم ، جئتكم قاصدا فبالله اقبلونى فقد حسبت عليكم ، اللهم :

انى ألوذ بحب آل محمد أرجو بذلك رحمة الرحمن

منى الدعاء بحبهم لك دائما يا دائم المعروف والغفران

وكان بعضهم يقف على ضريحها ويقول :

يا رب انى مؤمن بمحمد وبآل بيت محمد وموالى

فبحقهم كن لى شفيعا منقذا من فتنة الدنيا وشر مآلى

وكان بعض السلف اذا دخل ضريحها قال :

« انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد ، اللهم انى نازل اليك بأعتابهم متقرب بولائهم متذرع بالطاهرين من رجالهم والطاهرات من نسائهم ، اللهم زدهم شرفا وتعظيما ، وشرفهم شرفا حادثا وقديما،

وهب لنا من زيارتهم مغفرة وأجرا عظيما ، السلام عليكم يا آل بيت المصطفى يا بنى فاطمة الزهراء ، يا بنى على المرتضى يا بنى الحسن والحسين يا أهل النبى ، أنتم القوم لايحرم من خيركم الا محروم ، ولا يطرد من بابكم الا مطرود ، ولا يواليكم الا تقى ولا يعاديكم الا شقى .

اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وعلى أصحاب محمد . وعلى أزواج محمد وعلى ذرية محمد ، اللهم أنلنى ما رجوت بهم ، وبلغنى ما أملت فيهم وأعد على من بركات السعى اليهم ، وهون على موقفى بين يديك ، بالوقوف بين أيديهم » .

ثم يقرأ الفاتحة ، ويدعو حاجته من أمر دنياه وأخراه .

وكان بعض السلف ، يقف أمام قبرها فى خشوع ويقول :

« السلام والتحية والاكرام على أهل بيت النبوة والرسالة ، السلام عليك يا بنت الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن السبط ابن الامام على رضى الله عنهم أجمعين ، السلام عليك يا بنت فاطمة الزهراء ويا سلالة خديجة الكبرى ، أنتم يا أهل البيت غياث لكل قوم فى اليقظة والنوم ، فلا يحرم من فضلكم الا محروم ، ولا يطرد عن بابكم الا مطرود ، ولا يواليكم الا مؤمن تقى ولا يعاديكم الا منافق شقى ، اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وأعطنى خير ما رجوت منهم وبلغنى خير ما أملت فيهم واحفظنى بذلك فى دينى ودنياى وأخراى ، انك على كل شىء قدير .. » ثم يقول :

يا بنى الزهراء والنور الذى ظن موسى أنه نار قبس

لا أوالى الدهر من عاداكم انهم آخر سطر فى عبس

يشير الى قوله تعالى فى آخر أى عبس (أولئك هم الكفرة الفجرة)

وقد قال بعض السلف الصالح من العارفين : من كان فى شدة وكرب وأراد تفريجه عنه ، فليتوجه لكريمة الدارين السيدة نفيسة رضى الله

عنها : وليقل عند قبرها بعد قراءة الفاتحة مرة والاخلاص احدى عشرة مرة وسبح كذلك ، ثم يقول :

كم حاربتنى شـــدة بجيشــــها فضاق صدرى من لقاها وانزعج

حتى اذا أيســـت من زوالهـــا جاءتنى الألطاف تســـعى بالفرج

ثمانى عشرة مرة . فان الله سبحانه وتعالى يفرج عنه كربه ويقضى سؤاله .

قال المقريزى فى خططه : وقبر السيدة نفيسة رضى الله عنها أحد المواضع المعروفة باجابة الدعاء بمصر ، وهى أربعة مواضع :

سجن نبى الله يوسف الصديق عليه السلام ، ومسجد موسى صلوات الله عليه ومشهد السيدة نفيسة ، رضى الله عنها ، والمخدع الذى على يسار المصلى فى قبلة مسجد الأقدام بالقرافة .

ويقول السخاوى فى تحفته : « ولم يزل الصالحون والأئمة والفقهاء والقراء والمحدثون والعلماء يزورون مشـــهد الســـيدة نفسية رضى الله عنها ويدعون عنده ، وهو مجرب باجابة الدعاء » .

وقال بعض الصالحين : ان الله تعالى وكل بقبرها ملكا يقضى حاجات الناس ، رضى الله عنها .

الشعراء وكريمة الدارين :

قال المرحوم الشيخ أحمد محمد الكتانى رحمه الله :

بهذه الرحاب رحاب الكرام أنخت ركابى فحاشـــا أضام

وكيـــف وانى محـــب ولى بتلك المغانى هوى وغـــرام

فمـــا القلب يصبو الى غيرها ورؤية عينى ســـواها حرام

اذا زاد سقمى وعز الشـــفاء فقربى منها يزيل الســـقام

وان لم أمتع بهـا ناظـرى فـأنى لعينى طيب المنـام
كلفت صـغيرا بتلك الربوع وقلبى يحن لتـلك الخيـام
وليس عجيبـا فان بهـا مقام نفيسـة بنت الكرام
نفيسـة ذات العـلوم ومن من الله فازت بأعلى مقـام
كشـمس النهـار كراماتها وكم من دليل على ذاك قام
فكم من أخى شـقوة أمها فعاد سـعيدا ونـال المرام
وكم من حزين أتاها فعـاد قرير العيون عـلاه ابتسام
كفى يا بن ادريس لى شاهدا على ما أقول وهـذا امام
أسـيدتى اننى واقف ببابك أرجـو وجـودك عام
وليس من الجود أنى أعود بخفى حنـين وأنتم كـرام
نعم اننى لم أكن صـالحا وان ذنوبى عظـام جسـام
ولـكن نزلت بسـاحة من تجير الضعيف اذا الدهر ضام
فأنت رجـائى بعـد الاله ومن جاء هذا الحمى لايضام
وجدك طـه شـفيع العصاة وغوث الخلائق يوم الزحام
عليـه من الله فى كل آن أجل الصلاة وأزكى سـلام

وقال الشيخ أحمد الحامى ــ رحمه الله تعالى ــ فى مدحها وزيارتها:

يا صاح ان رمت الحياة الفاخرة فاقصد حمى بنت الكرام الطاهره
ذات الكرامـات المعظمـة التى أسرارها بين الخـلائق ظاهره
وبها توسـل واحتمى بجوارها واذكر مصابك تلقها لك ناصره
فهى المنجية الشـباب من العذا ب مغيثة الملهوف شمس الدائره
كم جاءها ذو فاقة يرجو الغنى جبرت بتيسير المعايش خاطره
فاغنم وسل بمقامها تعط المنى فعلى الدوام لزائريهـا حاضره

وادخل وطف واسع وسل بتأدب ما تشـــتهيه ونادها يا طاهره

انى قصـــدتك مســتغيثا لائذا مســـتعطفا أهل القلوب العامره

حاشا وكلا أن يضـــام نزيلكم أو أن يعود بصفقة هى خاسره

يا كعبـــة الأسرار جئتك لائذا أبغى الندى من وكف كف عاطره

يا أم قاســم الغيــاث فاننى عبد ضعيف الحال يدى قاصره

دنف ومســكين مهــين عاثــر مالى معين قط عينى ســاهره

يا بنت طه أنقــذى من لم يجد جاهاسوى ذى المعجزاتالظاهره

المصطفى الهادى البشير محمد من يرتجى كل الأنــام مآثره

صــلى عليــه الله ما بدر زهــا والآل والصحب النجوم الزاهره

أو ما استغاث الحامىأحمد قائلا يا صاح ان رمت الحياة الفاخره

ويقول الأستاذ الفاضل أحمد فهمى محمد :

قف لائــذا بســليلة الزهراء بنت النبى كريمـــة الآبـــاء

ذات العلا والمكرمات نفيســة بنت الأمــير وســيد الـكرماء

وكريمة الدارين ســيدة الحى غوث اللهيف وفرجــة الغمــاء

فاقصــد حماها راجيا متوسلا وارفــع أكف ضراعة ودعــاء

فهناك مهبط رحمــة وشــفاعة وبــه ينابيـــع من النعمــاء

الفيض فى جنباتــه ومقامهــا حرم من البأســــاء والضراء

والنور يسطع فى حفاف قبرها نور النبوة فى ســنى وســناء

فالله ينفعنــا بهـــا وبجــدها والله يكتبنــا مــع الســـعداء

وقال الامام شرف الدين محمد بن سعيد البوصــيرى ، صاحب البردة والهمزية رضى الله عنه مادحا السيدة نفيسة وآل البيت رضى الله عنهم :

جنابك منه تستفيد الفوائد ... وللناس بالاحسان منك عوائد
فطوبى لمن يسعى لمشهدك الذى ... تكاد الى مغناه تسعى المشاهد
اذا يممه القاصدون تيسرت ... عليهم – وان لم يسألوك – المقاصد
تحققت البشرى لمن هو راكع ... يرجى به فضلا ومن هو ساجد
فعفرت الشبان والشيب أوجها ... به والعذارى حسرا والقواعد
هو المنهل العذب الكثير زحامه ... فرده فما دون وردك ذائد
أتيت اليه والرجاء مخلأ ... فما عدت الا والمخلأ وارد
فيالك من يأس بلغت به المنى ... وعسر لأقفال اليسار مقالد
ألذ من الماء الزلال مواقعا ... على كبد الظمآن والماء بارد
سليلة خير العالمين نفيسة ... سمت بك أعراق وطابت محاتد
اذا جحدت شمس النهار ضياءها ... ففضلك لم يجحده فى الناس جاحد
بآبائك الأطهار زينت العلا ... فحبات عقد المجد منهم فرائد
ورثت صفات المصطفى وعلومه ... ففضلكما – لولا النبوة – واحد
فلم ينبسط الا بعلمك عالم ... ولم ينقبض الا بزهدك زاهد
معارف ما تنفك تقضى بسرها ... الى ما جد من آل أحمد ما جد
يضىء محياه كأن سناءه ... الى الصبح سار أو الى النجم صاعد
اذا ما مضى منهم امام هدى أتى ... امام هدى يدعو الى الله راشد
تبلج من نور النبوة وجهه ... فمنه عليه للعيون شواهد
وفاضت بحار العلم من قطر سحبها ... عليه فطابت للرواء الموارد
رأى زينة الدنيا غرورا فعافها ... فليس له الا على الفضل حاسد
كأن المعالى الآهلات بغيره ... ربوع خلت من أهلها ومعاهد
اذا ذكرت أعماله وعلومه ... أقر لها زيد وبكر وخالد
فقل لبنى الزهراء والقول قربة ... لكل لسان فيهم أو حصائد
أحبكم قلبى فأصبح منطقى ... يجادل عنكم حسبة ويجالد

وهل حبكم للنـــاس الا عقيــدة … علي أسها فى الله تبنى القواعــد

وان اعتقادا خاليــا من محبــة … وود لكم آل النبى لفاســـــد

وانى لأرجــو أن سيلحقنى بكم … ولائى فيدنو المطلب المتبـــاعد

فان سراة القوم منهم عبيــدهم … وان حروف النطق منهــا الزوائد

فدتكم أناس نازعــوكم ســيادة … فلم أدر سادات هم أم أساود

أرادوا بكم كيدا فكاذوا نفوسهم … بكم وعلى الأشقى تعود المكايد

فان حيزت الدنيــا اليهم فان من … نفى زيفها ســلما اليهم لنــاقد

ولو أنــكم أبنــاؤها ما ابتكمو … ومــا كان مولود ليــأباه والــد

اذا ما تذكرت القضايا التى جرت … أقضت على جنبى منهــا المراقد

وجددت الذكرى على بلا ســلا … أكابد منها فى الدجى ما أكابــد

أفى مثل ذاك الخطب ماسل مغمد … ولا قام فى نصر القرابــة قاعد

تعاظم رزء فــالعيون شــواخص … له دهشــة والثاكلات ســوامد

وطفف يــوم الطف كيل ذمائكم … اذا الدم جار فيه والدمع جامد

فيا فتنة بعــد النبى بهــا غــدا … تهدم ايمــان وتبنى مســـاجد

وما فتنت بعد ابن عمران قومه … بمــا عبــدوا الا ليهلك عابــد

كذاك أراد الله منكــم ومنهمــو … وليس لـــه فيما يريــد معانــد

ولو لم يكن فى ذاك محض سعادة … لكم دونهم لم يغمد السيف غامد

وأنتم أناس أذهب الرجس عنهم … فليس لهم خطب وان جل جاهد

اذا ما رضوا لله أو غضــبوا له … تساوى الأدانى عندهم والأباعد

وسيان من جمر العدى متوقــد … على بهرمان الصدق منكم وخامد

وفدت عليكم بالمــديح وكلــكم … عليه كتاب الله بالمــدح وافــد

وقد بينت لى هل أتى كم أتى بها … مكارم أخــلاق لــكم ومحامــد

فلولا تغاضيكم لنا فى مديحــكم … لردت علينا فى العيــوب القصائد

ولم أرتزق من غيركم بتجــارة … بضــائعها عنــد الأنام كواســد

عمـدت لقــــوم منهـم فكأننى   على عمد لا يرجع القول عامــد

أأطلب من قوم سواكم مساعدا   وقد صدهم حرمانهم أن يساعدوا

ومن وجد الزند الذى هو ثاقب   فلن يقدح الزند الذى هو صالد

وحسبى اذن مدح ابنة الحسن التى   لها كرما مجـد طريف وتالـد

وانى لمهـد من تنـائى قلائدا   اليها حـلال هديهـا والقـلائد

هى العروة الوثقى هى الرتب العلا   هى الغاية القصوى لمن هو قاصد

كأنى اذا أنشدت فى الناس مدحها   لما ضل من ذكر المكارم ناشــد

أسـيدتى انى رجوتك معلنـا   بما أنا من در المناقب ناضــد

وأعـين آمالى اليـك نواظــر   بما أنا من عادات فضلك عائــد

وما أجدبت قوم أتى من لدنهم   لمرعى الأمـانى من جنابك رائــد

ولولا ندى كفيك ما احضر يابس   ولا اهتز من أرض المكارم هامد

الى الله أشكو يابنة الحسن الذى   لقيت وانى ان شكوت لحامـد

وما لى لا أشـكو لآل محمـد   خطوبا بها ضاقت على المراصد

وما لصروف الدهر عنى صارف   ومـا لهموم القلب عنى طـارد

تسلط شـيطان من النفس غالب   على وشـيطان من البؤس مارد

فياويح قلب ما يزال سـماؤه   بها لشـياطين الخطوب مقاعـد

فياسامع الشكوى وياكاشف البلى   اذا نزلت فى العـالمين الشـدائد

وياهادى الطفل الرضيع ولم تتب   اليه قوى عقل ولا اشتد ساعد

ويا من سقى الوحش الظمـاء وقـد حمت

مواردهـا من أن تنـال المصـائد

ويامن يزجى الفلك فى البحر لطفه   وهن جـوار بل وهن رواكـد

ويامن هو السبع الطوابق رافع   ومن هو للأرض البسيطة ماهد

ويا من تناديـنـا خزائن فضـله   الى رفده ان أمسك الفضل رافد

فلا باب من تلك الخزائن مغلق   ولا خير من تلك الخزائن فائد

دعوناك من فقـر اليك وحاجة وكل بما يلقـاه للصـبر فاقـد
وأفضت بما فيها اليك ضمائرى وأنت على ما فى الضمائر شاهد
دعوناك مضطرين يارب فاستجب فانك لـم تخلف لديـك المواعد
فليس لنـا غوث سواك وملجا نراجعـــه فى كربنـا ونعـاود
فقدر لنـا خير الذى أنت أهله فمـا أحـد عمـا تقدر حائـد
وصفحا عن الذنب الذى هو سابق لنارك ـ الا ان عفوت ـ وقائد
وصل حبلنا بالمصطفى ان حبله لنا صـلة يارب منـك وعائـد
عليه صـلاة الله ما حمد السرى اليـه وذلت للمطى فـدافـد

الخاتمة

أختتم كتابى هذا راجيا من المولى القدير أن يكون قد وفقنى ، وأن أكون عند حسن ظن القارىء الكريم ، كما أسجد شكرا لله سبحانه وتعالى على توفيقى فى كتابته وفى اخراجه بالصورة التى يراها القارىء بين يديه ، وكم كنت أرجو أن أتوسع فى الكتابة عن السلالة الطاهرة بقية أهل البيت ، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، خصوصا العقيلة الطاهرة السيدة زينب بنت الامام على رضى الله عنهما ، لأنها سليلة من سلالة النبوة ، وفرعا من شجرة الرسالة ، وعضوا من أعضاء الرسول ، وجزءا من أجزاء الوصى والبتول ، فهى كريمة النبعتين عريقة الطرفين ، وقد أشرت فى عدة مناسبات الى شجاعتها النادرة وصبرها المنقطع النظير ، ولكنى فضلت أن أترك هذا الموضوع الى الصديق الكريم الأستاذ على شلبى رئيس مجلس ادارة مسجد السيدة زينب رضى الله عنها .

أما الموضوع الأخير فى هذا الكتاب ، وهو الفصل الخاص بكريمة الدارين السيدة نفيسة رضى الله عنها ، فقد أبرزته كما وعدت فى المقدمة لأنى من مريدين كريمة الدارين أتبارك بزيارة ضريحها الطاهر وأتفاءل بالصلاة والدعاء فى مسجدها المبارك الذى أتشرف برئاسة مجلس ادارته .

وأرجو من الله سبحانه وتعالى أن يوفقنى فى اخراج الجزء الثانى فى القريب العاجل ان شاء الله تعالى .

وأقدم جزيل شكرى الى كل من تفضل فأمدنى بالمراجع التى رجعت اليها ، وأخص بالذكر الأستاذ يحيى صبرى أبو علم ، فقد أمدنى بكثير من المراجع النادرة من خزانة كتبه ، وشكرا جزيلا لرائد التجاريين الدينى الأستاذ حسن المطاوى .

والله ولى التوفيق والحمد لله رب العالمين .

توفيق أبو علم

المــراجــع

١ ــ القــرآن الكــريم
٢ ــ تفسير محمد بن على بن محمد الشوكانى
٣ ــ تفسير الامام أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى
٤ ــ تفسير القرطبى وابن كثير والنسفى والبيضاوى
٥ ــ سيرة النبى : عبد الملك بن هشام
٦ ــ اعيان الشيعة : السيد محسن الأمين
٧ ــ الأغانى : لأبى الفرج الأصفهانى
٨ ــ شرح نهج البلاغة : لابن ابى الحديد
٩ ــ نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار : الشيخ سيد الشبلنجى
١٠ ــ الامام الحسن : للأستاذ باقر شريف القرشى
١١ ــ صلح الحسن : الشيخ راضى آل ياسين .
١٢ ــ الاصابة : لابن حجر
١٣ ــ الفتنة الكبرى : عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين
١٤ ــ فاطمة وبنات محمد : لامنس
١٥ ــ اسعاف الراغبين فى سيرة المصطفى : الشيخ محمد الصبان
١٦ ــ نظرية الامامة : الدكتور احمد صبحى
١٧ ــ أبو الشهداء : الأستاذ عباس العقاد
١٨ ــ الاستيعاب : لابن عبد البر
١٩ ــ الروضة الشريفة : للمغفور له محمد صبرى أبو علم .
٢٠ ــ عبقرية الامام : الأستاذ عباس العقاد
٢١ ــ فاطمة الزهراء والفاطميون : الأستاذ عباس العقاد
٢٢ ــ بنات النبى عليه الصلاة والسلام : الدكتورة بنت الشاطىء
٢٣ ــ الكامل : لابن كثير
٢٤ ــ ينابيع المودة : الشيخ سليمان الحسينى البلخى القندوزى
٢٥ ــ آل بيت الرسول : الأستاذ محمد كامل البنا ــ الأستاذ توفيق عربه
٢٦ ــ الحسين بن علي : الأستاذ حسن كامل الملطاوى
٢٧ ــ العقيلة الطاهرة : الأستاذ احمد فهمى محمد
٢٨ ــ خديجة أم المؤمنين : الأستاذ عبد الحميد الزهراوي
٢٩ ــ خديجة الكبرى : الأستاذ حسن كامل الملطاوى
٣٠ ــ السيدة نفيسة : الأستاذ محمد شاهين حمزة
٣١ ــ الامام الشافعى : الأستاذ عبد الحليم الجندى
٣٢ ــ ريحانة الرسول : الأستاذ احمد فهمى محمد
٣٣ ــ كريمة الدارين : الأستاذ احمد فهمى محمد
٣٤ ــ مقتل الحسين : للخوارزمى
٣٥ ــ مقاتل الطالبيين : أبو الفرج الأصفهانى
٣٦ ــ جمهرة الأولياء : للسيد محمود أبو الفيض المنوفى

٣٧ ـــ أبو الحسن الشاذلى : الدكتور عبد الحليم محمود .
٣٨ ـــ حلية الأولياء : أبو نعيم الأصفهانى .
٣٩ ـــ طبقات ابن سعد : لابن سـعد .
٤٠ ـــ البداية والنهاية : لابن كثير .
٤١ ـــ الامام الحسن : للأستاذ حسن كامل الملطاوى .
٤٢ ـــ الاجماع فى التشريع الاسلامى : السيد محمد صادق الصدر
٤٣ ـــ الجواهر النفيسة : الشيخ محمد عبد الخالق سعد .
٤٤ ـــ الامام على : الأستاذ جورج جرداق .
٤٥ ـــ مروج الذهب : للمسـعودى .
٤٦ ـــ السيدة فاطمة الزهراء : الأستاذ عمر ابو النصر .
٤٧ ـــ أم الاشتراكية خديجة : الدكتور ابراهيم زكى الساعى .
٤٨ ـــ أسـد الغـابة : لابن الاثير .
٤٩ ـــ الارشـاد : للمفيـد .
٥٠ ـــ اسباب النزول : للواحـدى .
٥١ ـــ البيان والتبيين : للجـاحظ .
٥٢ ـــ تاريخ اليعقوبى : لأحمد بن أبى يعقوب .
٥٣ ـــ تاريخ ابن خلدون : لعبد الرحمن بن محمد .
٥٤ ـــ كشف الغمة : عبد الوهاب الشعرانى .
٥٥ ـــ كنز العلوم : محمد فريد وجدى .
٥٦ ـــ السيدة فاطمة الزهراء : للأستاذ أحمد فهمى محمد .
٥٧ ـــ الصلة بين التصوف والتشيع : الدكتور كامل مصطفى الشيبى
٥٨ ـــ مذاهب التفسير الاسـلامى (جولد تسيهر) ترجمـة الدكتور عبد الحـليم النجـار .
٥٩ ـــ المعـارف الحسينية (محمد حسين آل حيدر) .
٦٠ ـــ مقدمة ابن خلدون : ابن خلدون .
٦١ ـــ محمد رسول الله : تأليف اتيين دينيه ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود
٦٢ ـــ ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى : الحافظ محب الدين أحمد ابن عبد الله الطبرى .
٦٣ ـــ الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز : عبد العزيز سيد الأهل .
٦٤ ـــ بطلة كربلاء : الدكتورة بنت الشـاطىء .
٦٥ ـــ الإمامة والسياسة : ابن قتيبـة .
٦٦ ـــ اليقين فى امرة أمير المؤمنين : ابن طاووس .
٦٧ ـــ خصائص أمير المؤمنين : الشريف الرضى .
٦٨ ـــ فجر الاسـلام : أحمـد أمين .
٦٩ ـــ دائرة المعـارف الاسـلامية .
٧٠ ـــ الشرف المؤبد لآل محمد (يوسف النبهانى) .
٧١ ـــ الزهراء : للأستاذ عبد الزهداء عثمان محمد .
٧٢ ـــ فدك فى التاريخ ـــ السيد محمد باقر الصدر .
٧٣ ـــ فاطمة الزهراء ـــ فاضل الحسينى الميلانى .
٧٤ ـــ فاطمة الزهراء ـــ سليمان كتانى .

الفهـــرس

صفحة

مقدمـــــة ٥
السيدة نفيسة ــ رضى الله عنها ٩
مولـــدها ١١
والـــدها ١١
امهـــا ١٦
جد السيدة نفيسة زعيم أهل البيت ١٩
السنة واهل البيت ٥١
اســاس الاسلام حب أهل البيت ٥٤
الاقتـــداء بأهل البيت ٥٤
اهل البيت لا يقاس أحد بهم ٥٥
الحث على حب أهل البيت ٥٥
وجوب محبة أهل البيت واكرامهم والتمسك بهم ٥٩
نفيســة العلم ٧٠
اخلاقها ــ رضى الله عنها ٧٦
من بلد الرسول الى القاهرة ٧٩
أوليـــاء الله وكراماتهم ٨٣
منــكرو ــ الكرامات ٩٢
الكرامات وروح العصر ٩٨
كرامات الســيدة نفيسة ١٠٣
علمـــاء حول كريمة الدارين ١١٧
الشعراء وكريمة الدارين ١٣٤
خاتمـــة ١٤١
المراجـــع ١٤٢

رقم الإيداع ٣٨٩٩/ ١٩٩٢

مطابع الأوفست
بشركة الإعلانات الشرقية